السننُ الإلهيةُ

في استشرافِ مستقبلِ بني إسرائيلَ

دراسة تفسيرية في سورتي الأعرافِ والإسراءِ

Divine Laws in Anticipating the Future of the Children of Israel - An Interpretive Study of Surat Al-A'raf and Surat Al-Isra

إعداد

محمد علي حسن حسن الشوكي

مدرس الدراسات الإسلامية بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب – جامعة بني سويف

mdelshwki@hotmail.com

الملخص:

إن التأملَ في السنن الإلهيةِ، والتفكرَ في قوانينها، والحرصَ على معرفتها، كلُّ ذلك يُعدُّ أحدَ المحاور المهمةِ في فهم الدين، والوقوفِ على دوره في هذه الحياة؛ كذلك فهو يحررُ العقلَ المسلمَ من الركونِ إلى الخرافةِ، والفوضى، والعشوائيةِ، والسلبيةِ؛ لأن معرفة السننِ الإلهيةِ يقدِّمُ للمسلم أداةً معرفيةً قويةً لفهم حاضرِه واستشرافِ مستقبلِه، ويكون تنبؤه بمستقبله، مبنيًّا على علم، وعقيدةٍ، ودراسةٍ، وكلُّها مستنبطةٌ من استقراء النصوصِ القرآنيةِ، واستخلاصِ العِبراتِ والعظاتِ منها، وبهذا التأمل لم يعدِ القرآنُ الكريمُ مجردَ كتابٍ للتبرك، وهو لا شكَّ كلُّه بركةٌ، لكن يصبح مع بركته مرصدًا حضاريًّا، يقفُ المسلمون من خلاله على نواميسِ الصعودِ والهبوط، ومفاتيحِ التقدم والتخلف.

بناءً عليه؛ جاءت هذه الدراسةُ؛ لتسلطَ الضوءَ على السنن الإلهيةِ في قصة بني إسرائيلَ، نظرًا لأهمية هذه القصةِ، وكثرةِ ورودِها في القرآن الكريم، فهي غنيةٌ بذكر السننِ الإلهيةِ التي يفيد منها المسلمون في حياتهم المعاصرةِ، وجاء في جزء من هذه الدراسةِ الحديثُ عن استشرافِ مستقبلِ هؤلاء القومِ الذين يحتلون ديارَ المسلمين، حيث ورد في القرآن الكريم بسورة الإسراء ما فهمه كثيرٌ من أهل العلم على أنه تنبؤٌ بمآل اليهود، وبعضُ العلماء ذهب إلى غير ذلك، والبحثُ يناقش الفريقين من خلال أقوال المفسرين في الآيات الكريمةِ التي وردت في سورتي الأعرافِ والإسراء.

الكلمات المفتاحية: السنن الإلهية، بنو إسرائيل، استشراف المستقبل، سورة الأعراف، سورة الإسراء.

Abstract:

Contemplating the divine laws, reflecting on their rules, and being keen to know them, all of this is considered one of the important axes in understanding religion and understanding its role in this life. It also liberates the Muslim mind from relying on superstition, chaos, randomness, and negativity, because knowledge of the divine laws provides the Muslim with a powerful cognitive tool for understanding his present and anticipating his future. His prediction of his future is based on knowledge, belief, and study, all of which are derived from the induction of the Qur'anic texts and the extraction of lessons and morals from them. With this contemplation, the Holy Qur'an is no longer merely a book of blessings, although it is undoubtedly all blessings. Rather, along with its blessings, it becomes a civilizational observatory through which Muslims can observe the laws of ascent and descent, and the keys to progress and backwardness.

Accordingly, this study came to shed light on the divine laws in the story of the Children of Israel, due to the importance of this story and its frequent occurrence in the Holy Qur'an. It is rich in mentioning the divine laws that Muslims benefit from in their contemporary lives. Part of this study talked about anticipating the future of these people who occupy the lands of Muslims. The Holy Quran, in Surat Al-Isra, contains what many scholars have understood as a prediction of the fate of the Jews, while some scholars have taken a different view. This research discusses both groups through the commentators' statements on the noble verses that appear in Surat Al-A'raf and Surat Al-Isra.

Keywords:

Divine Laws, Children of Israel, Foresight, Surat Al-A'raf, Surat Al-Isra.

المقدمة

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على رسول الله، وعلى آله وصحبِه ومن والاه، وأشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ، وحده لا شريكَ له، وأشهد أن سيدَنا محمدًا عبدُه ورسولُه، وبعد.

إن التأملَ في السنن الإلهيةِ، والتفكرَ في قوانينها، والحرصَ على معرفتها، كلُّ ذلك يُعدُّ أحدَ المحاور المهمةِ في فهم الدين، والوقوفِ على دوره في هذه الحياة؛ كذلك فهو يحررُ العقلَ المسلمَ من الركونِ إلى الخرافةِ، والفوضى، والعشوائيةِ، والسلبيةِ؛ لأن معرفة السننِ الإلهيةِ يقدّمُ للمسلم أداةً معرفيةً قويةً لفهم حاضرِه واستشرافِ مستقبلِه، ويكون تنبؤه بمستقبله، مبنيًّا على علم، وعقيدةٍ، ودراسةٍ، وكلُّها مستنبطةٌ من استقراء النصوصِ القرآنيةِ، واستخلاصِ العِبراتِ والعظاتِ منها، وبهذا التأمل لم يعدِ القرآنُ الكريمُ مجردَ كتابٍ للتبرك، وهو لا شكَّ كلُّه بركةٌ، لكنْ يصبح مع بركتِه مرصدًا حضاريًّا، يقفُ المسلمون من خلاله على نواميسِ الصعودِ والهبوط، ومفاتيحِ التقدم والتخلف.

بناءً عليه؛ جاءت هذه الدراسةُ؛ لتسلطَ الضوءَ على السنن الإلهيةِ في قصة بني إسرائيلَ، نظرًا لأهمية هذه القصةِ، وكثرةِ ورودِها في القرآن الكريم، فهي غنيةٌ بذكر السننِ الإلهيةِ التي يفيد منها المسلمون في حياتهم المعاصرةِ، وجاء في جزء من هذه الدراسةِ الحديثُ عن استشرافِ مستقبلِ هؤلاء القومِ الذين يحتلون ديارَ المسلمين، حيث ورد في القرآن الكريم بسورة الإسراء ما فهمه كثيرٌ من أهل العلمِ على أنه تنبؤٌ بمآلِ اليهود، وبعضُ العلماء ذهب إلى غير ذلك، والبحثُ يناقش الفريقين من خلال أقوال المفسرين في الآياتِ الكريمةِ التي وردت في سورتي الأعرافِ والإسراء.

أهمية البحث:

إن موضوع هذا البحث بالغُ الأهميةِ؛ حيث إنه يتعلق بالسننِ الإلهيةِ في قصة بني إسرائيلَ واستشرافِ مستقبلِهم، وهي أمورٌ تحتاج إليها أمتُنا في ظل واقعٍ صعبٍ تعيشُه الأمة من الضعف، وتكالبِ الأمم عليها؛ لذلك أصبح رجوعُها إلى كتاب ربِّها أمرًا حتميًّا؛ فإن فيه السعادةَ في الدارين، وتأتي الأهميةُ الكبرى من تأمل السننِ الإلهيةِ في أنه أمرٌ ضروريٌّ لإخراج الأمة من الضعفِ، والهوانِ، واليأسِ، فكتابُ الله فيه الهدى والنورُ والهدايةُ لإصلاح الأمة في الدنيا والآخرة.

أهداف البحث:

لهذا البحث أهدافٌ كثيرة، يمكن تلخيصُ بعضِها، كما يلي:

1. الوقوفُ على السنن الإلهية في الأفراد والمجتمعات.
2. إظهار الأهمية الكبرى للسنن الإلهية.
3. بيان السنن الإلهية في قصة بني إسرائيل في سورة الأعراف.
4. إظهارُ الأثرِ البالغِ لدراسة السنن الإلهية في حياة الفرد والمجتمع.
5. الوقوف على السنن الإلهية لقصة بني إسرائيلَ في سورة الإسراء.
6. استشراف مستقبل الأمة من خلال دراسة السننِ الإلهية.
7. التنبؤ بمستقبل بني إسرائيل حسب تفسير سورة الإسراء.

مشكلة البحث:

تكمن إشكاليةُ هذا البحثِ في أن أغلبَ المسلمين انصرفوا عن فهم كتابِ الله، فصارتِ الأمةُ من أضعف الأمم، ومع الأسفِ الشديدِ، أصبحت تابعةً لغيرها، مع أنها تملك أسبابَ القوة والتمكينِ، فلو رجعتِ الأمةُ لفهمِ كتابِ ربها، وأخذتِ العبراتِ والعظاتِ من الدروس العظيمةِ التي تحملها أخبارُ الأممِ المذكورةِ في القرآن؛ لارتقتِ الأمةُ، وصارت في طليعة الأمم، والإشكاليةُ الكبرى في كيفية إيقاظِ الأمة من سباتِها، وكيفيةِ إقناعِ أبنائها أنهم على الحقِّ، وأن في القرآن الكريم نجاتَهم وفلاحَهم في الدنيا والآخرة، وهذا ما تحاول الدراسة بيانَه وحلَّ مشكلتِه.

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث على عدةِ مناهجَ في هذا البحث، منها المنهجُ التاريخيُّ؛ حيث تتبع تاريخَ بني إسرائيلَ عبر حقبِهم المختلفةِ، وما حدث لهم؛ لأخذِ العبرةِ والعظةِ من أحداثهم، واعتمد كذلك على المنهجِ الاستقرائيِّ؛ حيث تتبع الآياتِ القرآنيةَ التي تتحدث عن بني إسرائيل، وجمعها تمهيدًا لدراستها، واعتمد على المنهج الوصفيِّ من خلال نقل أقوال المفسرين والشراحِ للنصوص محلِّ الدراسة، وسلك الباحث كذلك المنهجَ التحليليَّ؛ وذلك من خلال تحليلِ تفاسيرِ العلماء، والترجيحِ بينها عند الحاجة.

الدراسات السابقة:

سبق هذا البحثَ دراساتٌ تتلاقى معه في بعض الجوانبِ، وينفردُ ببعض الجوانب عنها، ويمكن ذكرُ بعض هذه الدراساتِ السابقةِ، وذلك كما يلي:

1- سننُ الله في قصة موسى وبني إسرائيلَ في القرآن الكريم، د. صالح بن ثنيان الثنيان، بحثٌ منشوٌر، مجلة تدبر، العدد12، السنة السادسة، رجب 1443، فبراير 2022م:

جمع الباحث في دراسته السننَ الإلهيةَ الخاصةَ بقصة موسى وبني إسرائيلَ، وجعلها في ستةِ أقسامٍ، منها السننُ المتعلقةُ بالله، والمتعلقةُ بالإيمان، والدعوةِ، والنصرِ، والكفرِوالتكذيبِ، والجزاءِ، ولم يتطرق لاستشراف مستقبل بني إسرائيل، وكذلك تحدث عن السنن بشيء من العموم؛ لأن بحثه يشمل القصةَ في القرآن كلّه.

2- قصةُ قتلِ بني إسرائيلَ أنفسَهم توبةً إلى الله من عبادة العجل، سليمان بن إبراهيم بن محمد الحصين، بحثٌ منشور، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، المجلد 16، العدد الثاني، 1436هـ، 2015م:

والبحثُ كما هو واضحٌ من العنوان، يركزُعلى قصةِ توبتِهم من عبادة العجل، ويتعمقُ في دراسة الروايات التي تشرح الآياتِ الكريمةَ، وهو لا يتلاقى مع بحثنا إلا في شيءٍ يسيرٍجدا، وهو المتعلقُ بسنة الابتلاءِ والتمحيص.

3- السننُ الإلهيةُ الكونيةُ والاجتماعيةُ لطائفَ وبصائرَ، د. رشيد كهوس، بحثٌ منشورٌ، مجلة تدبر، العدد الأول، السنة الأولى، البحث الثالث:

خصص الباحث مبحثًا لتعريف السننِ الإلهية، ومبحثًا آخرَلاستخلاص العبر من هذه السنن، وبحثُه عامٌّ في كلّ السنن الإلهية، فهو يتلاقى مع بحثنا في السنن الإلهية بصفة عامة، لكنَّ ثمةَ فروقًا كبيرةً بين البحثين.

4- القواعدُ الدعويةُ المستنبطةُ من قصة الملأ من بني إسرائيلَ في سورة البقرة - دراسةً استنباطيةً تحليليةً، د. عبد اللطيف بن حمود التويجري، مجلة تدبر، العدد16، المجلد الثامن، السنة الثامنة، رجب1445، يناير2024م:

والبحث مقسمٌ على ثلاثةِ مباحثَ، كلُّها يدورعن القواعد الدعويةِ في هذه القصة المذكورةِ في سورة البقرة، فهو يتلاقى مع بحثنا في الدروس المستفادةِ من هذه القصة والخاصةِ بسنة الشدةِ والابتلاء.

5- سورةُ الإسراءِ تقصُّ نهايةَ بني إسرائيلَ، عبد المعزعبد الستار، بحثٌ منشورٌ، مجلة الأزهر، المجلد28، غرة جمادى الآخرة 1376هـ/2يناير1957م، ص689:

البحث يركزعلى تفسيرالإفسادين الواردين في سورة الإسراء، وهل هما قد وقعا قبل بعثةِ النبيِّ ﷺ، كما ذهب جماهيرالمفسرين، أم هما استشرافٌ لمستقبلِ بني

إسرائيلَ؟، واختار الشيخ، رحمه الله، القولَ الثانيَ، وهو ما سنناقشه بالتفصيل في المبحث الثالث، بإذن الله تعالى.

خطة البحث:

جاء البحثُ في:

مقدمةٍ، بها أهميةُ الموضوع، وأهدافُه، ومنهجُه، ومشكلتُه، والدراساتُ السابقةُ، وخطةُ البحثِ.

وتمهيدٍ به التعريفُ بقوم بني إسرائيل.

وثلاثةِ مباحثَ، وخاتمةٍ بها أهمُّ النتائجِ والتوصياتِ، والمباحثُ الثلاثةُ، كما يلي:

المبحث الأول: مفهوم السنن الإلهية ودورُها في استشراف المستقبل:

وتم تقسيمُه على مطلبين، كما يلي:

المطلب الأول: مفهوم السنن الإلهية.

المطلب الثاني: دور السنن الإلهية في استشراف المستقبل.

المبحث الثاني: تجليات السنن الإلهية في قصة بني إسرائيل بسورة الأعراف:

وتم تقسيمُه على مطلبين، كما يلي:

المطلب الأول: التعريفُ بسورةِ الأعراف وقصةِ بني إسرائيل فيها.

المطلب الثاني: السنن الإلهية في قصة بني إسرائيل بسورة الأعراف.

المبحث الثالث: استشراف مستقبل بني إسرائيل في سورة الإسراء:

وتم تقسيمُه على مطلبين، كما يلي:

المطلب الأول: التعريف بسورة الإسراء.

المطلب الثاني: استشرافُ مستقبلِ بني إسرائيلَ في سورة الإسراء.

تمهيدٌ

التعريفُ بقوم بني إسرائيل

ينتسب قومُ بني إسرائيلَ إلى نبيِّ الله يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ، عليهم السلامُ، وقد سُمي يعقوبُ إسرائيلَ؛ فانتسب أبناؤه وذريتُه إليه، وروى ابنُ عساكرَ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قال: "وُلد إبراهيمُ بغوطةِ دمشقَ، في قرية يقال لها: برزةُ، في جبل يقال له: قاسيون"[1]، لكنَّ الأصحَّ أنه ولد بكوتا من أرض بابل[2]، ثم انطلق تارح - والد إبراهيم – "بابنه إبراهيمَ وامرأتِه سارةَ و ابنِ أخيه لوطِ بنِ هارانَ، فخرج بهم من أرض الكلدانيين إلى أرض الكنعانيين، فنزلوا حرانَ، فمات فيها تارح، وله مائتان وخمسون سنةً، وهذا يدل على أنه لم يُولد بحرانَ، و إنما مولدُه بأرض الكلدانيين وهي أرضُ بابلَ وما والاها"[3]، وكانت سارةُ عاقرًا، فعرضت على خليل الرحمن أن يدخلَ على أَمَتها هاجرَ؛ فأنجب منها إسماعيلَ عليه السلام، "وولدته ولإبراهيمَ من العمر ستٌّ وثمانون سنةً قبل مولدِ إسحقَ بثلاثَ عشرةَ سنة"[4].

مولدُ يعقوبَ عليه السلام وأولاده:

تزوج إسحاقُ عليه السلام ربقةَ بنتَ شاويل، وكان ذلك في حياة خليلِ الرحمنِ إبراهيمَ، وكان عمر إسحاق أربعين عامًا، وكانت زوجتُه عاقرًا؛ "فدعا الله لها؛ فحملتْ فولدت غلامين تَوْءَمَيْنِ؛ أولهما سمَّوهُ عيصو، وتسمية العرب (العِيصَ) وهو والدُ الرُّومِ الثانيةِ، والثاني خرج وهو آخذٌ بعقبِ أخيه؛ فسمَّوهُ يعقوبَ، وهو إسرائيلُ الذي يُنسَبُ إليه بنو إسرائيل"[5]، وقيل: إن إسحاق كان يدعو كثيرا ليعقوبَ؛ فاغتاظ العيصُ؛ ففر يعقوبُ "إلى خاله لابانَ ببابل، فوصله لابانُ وزوجه ابنتيه ليا وراحيل، و انصرف بهما

---

[1] تاريخ دمشق، ج2، ص326.

[2] انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ج1، ص161. و انظر: إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، شمس الديني المنهاجي، ج2، ص163.

[3] البداية والنهاية، ابن كثير، ج1، ص161.

[4] البداية والنهاية، ابن كثير، ج1، ص177.

[5] تفسير ابن عادل الحنبلي، ج10، ص526.

وبجاريتيهما وأولادِه الأسباطِ الاثني عشرَ وأختِهم دينا إلى الشام إلى منزل آبائه"[1]، و أنجب يعقوبُ من ليا "روبيلَ، وشمعونَ، ولاويَ، ويشحبَ، وزبالونَ، وقيل: زيلونُ. ثم تُوفيت، فتزوج أختها راحيلَ، فولدت له يوسفَ، و ابنَ يامينَ، ومعناه: ابنُ الوجعِ، لأنها ماتت في نفاسه"[2].

و أبناء يعقوب، هم: سبعةٌ من ليا: روبيل وكان أكبرَهم، وشمعونُ، ولاوي، ويهوذا، وزبالونُ، ويسحرُ(أو يشحر)، ودينةُ بنتُ يعقوبَ، وبعد وفاة ليا، تزوج راحيلَ، فولدت له يوسفَ، وبنيامينَ، وهو بالعربية شدادٌ، ووُلد له من سريتين، اسمُ إحداهما زلفةُ، واسمُ الأخرى بلهةُ، أربعةُ أولادٍ: دانُ، ونفثالي، وجادُ، وأشرُ، فكان بنو يعقوبَ اثني عشرَ رجلًا وبنتًا[3]، وهؤلاءِ الأسباطُ هم أصلُ بني إسرائيلَ، وقد عاشوا مع أبيهم يعقوبَ عليه السلامُ في أرض كنعانَ ببلاد الشام.

قدوم بني إسرائيل إلى مصر:

لقد حدث ما ورد صريحًا في القرآن الكريم من غيرة أبناءِ يعقوبَ على أخيهم يوسفَ، وألقوه في الجبِّ، واشتراه عزيزُ مصرَ، وبعد أحداث عصيبةٍ مربها يوسفُ؛ أدتْ إلى دخوله السجنَ، ثم فرَّج اللهُ عنه، وأصبح عزيزَ مصرَ، واستدعى أهلَه من فلسطينَ، قال اللهُ ﷻ حكايةً عن يوسفَ ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَ أْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[يوسف93]، وعاش بنو إسرائيلَ مع أبيهم بمصرَ، ولما جاء أجلُ يعقوبَ عليه السلامُ "بكى عليه أهلُ مصرَ سبعينَ يومًا، وأمر يوسفُ الأطباءَ فطيبوه بطيب، ومكث فيه أربعينَ يومًا، ثم استأذن يوسفُ ملكَ مصرَ في الخروج مع أبيه ليدفنَه عند أهله؛ فأذن له وخرج معه أكابرُ مصرَ وشيوخُها، فلما وصلوا حبرونَ؛ دفنوه في المغارة التي كان اشتراها إبراهيمُ الخليلُ"[4]، ومات يوسفُ وعمرُه مائةٌ وعشرُ سنينَ، وأوصى أن يُدفن في أرضِ كنعانَ[5]، لكن لم تُنفذ وصيتُه إلا في عهد موسى عليه السلام، أي بعد بضعةِ قرونٍ عند خروجه مع بني إسرائيلَ من مصرَ، كما ثبت عن

---

[1] تاريخ الطبري، ج1، ص319.

[2] المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، ج1، ص309.

[3] انظر: تاريخ الطبري، ج1، ص317.

[4] البداية والنهاية، ابن كثير، ج1، ص253.

[5] انظر: تاريخ الطبري، ج1، ص336.

رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح[1].

بعثة موسى عليه السلام:

كما هو ثابتٌ، فقد وُلد نبيُّ الله موسى عليه السلام في مصرَ في أحدِ أسباطِ بني إسرائيلَ، وتربى موسى في بيت فرعونَ، وحدث ما ثبت في القرآن الكريم من تكذيبِ فرعونَ له، وما كان يفعلُه وقومُه في بني إسرائيل، لكن في نهاية الجولة بين فرعونَ وقومِه، وموسى وبني إسرائيلَ، أهلك اللهُ فرعونَ وملأه، وخرج موسى مع بني إسرائيلَ إلى بلاد أجدادِهم بفلسطين، وأخذوا معهم جسدَ يوسفَ عليه السلامُ؛ فدُفن في أرض كنعانَ، وبدأت مرحلةٌ جديدة،من تمكين بني إسرائيلَ، لكنهم خالفوا، واعتدَوا، وعصوا أوامرَربهم بعد أن عاينوا الآياتِ والمعجزاتِ وفضلَ اللهِ عليهم، وهو ما ورد صريحًا في كتاب الله تعالى، وهو ما سنشير إليه في المبحث الثاني والثالثِ، بإذن الله تعالى، وبسبب عنادِهم ومعصيتِهم، حرمهم اللهُ من دخولِ بيتِ المقدسِ، وكتب عليه التيهَ أربعين سنة، وتوفى موسى وهارونُ عليهما السلام في فترة التيه، وفَتَح بيتَ المقدسِ يوشعُ بنُ نون فتى موسى المذكورُفي سورة الكهف[2]، وأحدث الله له معجزةً؛ حيث أمسك عليه الشمسَ من الغروب؛ حتى يفرغَ من فتح المدينة المباركة[3].

بنو إسرائيل بعد موسى وهارونَ عليهما السلام:

امتنَّ الله تعالى على بني إسرائيل بإرسال كثيرٍمن الأنبياء والمرسلين؛ لذلك جاءت أخبارُهم في القرآن بصورة مفصلة، وهي أكبرُالقصصِ التي وردت بالكتاب الكريم، وبعد وفاة يوشعَ بنِ نونَ "تفرق بنو إسرائيلَ إلى مجموعاتٍ متناثرةٍ يحكمها عددٌ من القضاة، واستمر ذلك زهاءَ قرنٍ ونصفٍ، ثم اختارلهم النبيُّ صموئيلُ شاولَ (طالوتَ) مَلِكًا، فحَكَمَهم عشرسنين، ثم ملك بعده داودُ، ثم ابنُه سليمانُ الذي توفي عام 922 ق. م، وولي بعده ابنُه رحبعامُ، وثارعليه يربعام بنُ ناباط، وتبعه عشرةٌ من الأسباط، وكونوا دولةً شماليةً سُميت: مملكةَ إسرائيلَ، وعاصمتُها شكيم (نابلس)، وبقيت حتى عام 722 ق. م حيث قضى عليها الآشوريون، وحكموا تلك البلادَ، وأما المملكةُ الجنوبيةُ (يهوذا)، فعاصمتُها أورشليمُ، فبقي المُلْكُ فيها في ذرية سليمانَ حتى جاء بختنصرُعام

---

[1] رواه الحاكم في المستدرك، وو افقه الذهبيُّ، وقال: على شرط البخاريّ ومسلمٍ، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الشعراء، ج2، ص439.

[2] انظر: تفسير الطبري، ج10، ص193.

[3] انظر: تفسير ابن كثير، ج3، ص80.

586 ق. م، فقتل ملكَها صدقيا، وأحرق أورشليمَ وهيكلَها، وسبى سكانها إلى بابل، فبقوا هناك حتى أعادهم الملك الفارسيُّ قورشُ سنة 538 ق. م، ثم بقوا في فلسطين في ظل اليونانِ ثم الرومانِ الذين دخلوا أورشليم عام 64 ق. م، واستمرت سيطرتهم على فلسطين حتى ظهور الإسلام"[1].

[1] هل العهد القديم كلمة الله، منقذ بن محمود السقار، ص22.

(المبحث الأول)

مفهومُ السننِ الإلهية ودورُها في استشراف المستقبل

إنَّ السننَ الإلهيةَ هي عبارةٌ عن قوانينَ ربانيةٍ ثابتةٍ، تحكم حركةَ المجتمعاتِ وسيرَ التاريخ، وتكشفُ عن النظامِ المحكمِ الذي وضعه اللهُ تعالى لتدبيرِ شئونِ الخلقِ، وتمثل إطارًا منهجيًّا لفهم حركةِ التاريخِ وتطورِ المجتمعات، مما يجعلها أداةً مهمةً في استشراف المستقبل، واتخاذِ المواقف الصحيحةِ تجاه الأحداثِ؛ وبناءً عليه؛ تأتي أهميةُ دراسةِ السننِ الإلهيةِ؛ لفهمِ مجرياتِ الأمورِ، واستخلاصِ العِبر، وتوجيهِ المسارِ البشريّ؛ لكي يبنيَ قراراتِه على هدىً وبيانٍ.

بناءً عليه؛ يمكن تقسيمُ هذا المبحثِ على مطلبين، هما:

المطلب الأول: مفهوم السنن الإلهية.

المطلب الثاني: دور السنن الإلهية في استشراف المستقبل.

المطلب الأول:

مفهوم السنن الإلهية

أولًا: تعريف السنن الإلهية

السُّننُ جمع سُنة، والسنةُ – لغةً – لها عدةُ معانٍ، لكنَّ "الأصلَ فيه الطريقةُ والسيرة، وإذا أُطلقت في الشرع؛ فإنما يراد بها ما أَمَر به النبيُّ ﷺ ونهى عنه، وندب إليه قولا وفعلا، مما لم ينطق به الكتاب العزيز"[1]، فسنة الله تقال لطريقة حكمته، وطريقةِ طاعته[2]، فهي من الله "حكمُه، وأمرُه، ونهيُه"[3]، وسنة الأولين، أي طريقتُهم، قال الله ﷻ ﴿اسْتِكْباراً فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[فاطر43]، قال

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، مادة سنن، ج13، ص225.

[2] انظر: تاج العروس، مادة سنن، ج35، ص231.

[3] القاموس المحيط، الفيروزبادي، مادة سنن، ص1207.

الله ﷻ ﴿وَما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾[الكهف55]، وقد ورد التأكيدُ على ثبات قوانينِ السننِ الإلهية في كثير من الآيات القرآنية، منها قولُه ﷻ ﴿اسْتِكْباراً فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[فاطر43]، وقال الله ﷻ ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[الفتح23]، وقال الله ﷻ ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾[الحجر12و13]، وفي تفسير هذه الآية يقول الطبريُّ: "يقول تعالى ذكرُه: لا يؤمن بهذا القرآن قومُك الذين سلكتُ في قلوبهم التكذيبَ، ﴿حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس 88] أخذًا منهم سنةَ أسلافِهم من المشركين قبلهم من قوم عادٍ، وثمودَ، وضرباءهم من الأمم التي كذبت رسلَها، فلم تؤمن بما جاءها من عند الله حتى حل بها سخطُ الله؛ فهلكت"[1].

وأما التعريفُ الاصطلاحيُّ للسنن الإلهية؛ فيرى بعضُ العلماءِ أنها "مجموعُ القوانينِ التي يسيروفقها الكون، والتي يستفيد منها الكائنُ الإنسانُ بما يؤهلُه، ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[البقرة21] فيسخرُها ويستفيدُ منها، إنها نُظُمُ هذا الكونِ بما فيه ومن فيه المسيرةُ له وفق ما أراده الخالقُ المبدعُ، جلَّ شأنُه، ومجالها الواسع: السمواتُ، والأرضُ، والحياةُ، والكونُ، والإنسانُ، والمسلمُ مدعوٌّ لذلك منذ أكثرَ من أربعةَ عشرَ قرنا"[2]، ويرى بعضُهم أنها "هي العادة التي تتضمن أن يَفعلَ في الثاني مثلَ ما فَعل بنظيره الأولِ؛ ولهذا أمر سبحانه وتعالى بالاعتباروقال ﷻ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[يوسف111]، والاعتبارُ أن يُقرَنَ الشيءُ بمثله؛ فيُعلَمَ أن حكمَه مثلُ حكمِه، كما قال ابنُ عباس: هلا اعتبرتم الأصابعَ بالأسنان؟[3] فإذا قال ﴿فَاعْتَبِرُوا يَاأُولِي الْأَبْصَارِ﴾[الحشر2] وقال ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[يوسف111] أفاد أن من عمل مثلَ أعمالهم؛ جوزي مثلَ جزائهم؛ ليحذر أن يعمل مثلَ أعمال الكفار؛

---

[1] تفسير الطبري، ج17، ص71.

[2] على مشارف القرن الخامس عشر، دراسة السنن الإلهية والمسلم المعاصر، إبراهيم علي الوزير، ص7.

[3] وكلامُ ابنِ عباس، رضي الله عنهما متعلقٌ بمساواة الأصابع في الدية على الرغم من اختلاف منافعها؛ فلا تتعلق الدية بالمنفعة، فكذلك المتعينُ في حكم الأسنان، انظر: الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، ج7، ص77، ولفظُ الأثرلم أجده في كتب الحديث، لكن وقفتُ على أثرٍقريبٍ من معناه في مسند الإمام أحمدَ مرفوعًا، حيث روى ابنُ عباسٍ "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سوَّى بين الأسنانِ والأصابعِ في الدية" وقد حكم محقق المسند شعيب الأرنؤوط بأن سنده صحيح، المسند، ج4، ص378.

وليرغبَ في أن يعملَ مثلَ أعمال المؤمنين أتباعِ الأنبياء"[1]، ويرى بعض العلماء أن السنن الإلهية، هي "الطريقةُ المتبعةُ في معاملة الله تعالى للبشر؛ بناء على سلوكهم و أفعالهم وموقفِهم من شرع الله و أنبيائه، وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة"[2].

إنَّ علمَ المسلمِ بالسننِ الإلهيةِ لهو أمرٌبالغُ الأهمية؛ فإن مقاديرالله تعالى على عباده تسيروفق هذه السننِ، فوجب على المسلمين الأخذُ بأسباب القوة والعزةِ والعملِ النافع، ولا يركنون إلى المفهوم الخاطئِ للتوكل، وهو تركُ العملِ والأخذُ بالأسباب، ويطلبون النتائجَ والثمراتِ؛ بناءً على توكلهم على الله، والتماسِ التوفيقِ والسدادِ منه، وهذا خطأٌ كبيرٌ، واعتقادٌ خاطئ، فالاعتماد على الله عبادةٌ عظيمةٌ، لكن يتبعُها الأخذُ بالأسباب، فقد كان لرسول الله ﷺ حرسٌ لزومَ حراسته، وكان يأخذ بكل أسبابِ النصرِ في غزواته، وأمره اللهُ أن يُعدَّ العدةَ لمقابلة أعداء الله، قال تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[الأنفال60]، وأما القياسُ العقليُّ؛ فيقتضي الأخذَ بالأسباب مع التوكل على الله؛ فإن "الملكَ العظيمَ إذا كانت له عوائدُ في أيام لا يُحسِنُ إلا فيها، أو أبوابٌ لا يخرجُ إلا منها، أو أمكنةٌ لا يُوقِع إلا فيها؛ فالأدبُ معه أن لا يُطلَبَ منه فعلٌ إلا حيث عوده، وأن لا يخالف عوائدَه، بل يجري عليها، والله سبحانه وتعالى مالكُ الملوك، وأعظمُ العظماء بل أعظمُ من ذلك رتب ملكَه على عوائدَ أرادها، وأسبابٍ قدرها، وربط بها آثارَقدرته، ولو شاء لم يربطها؛ فجعل الرِيَ بالشرب، والشِبعَ بالأكل، والاحتراقَ بالنار، والحياةَ بالتنفس في الهواء، فمن رام من الله تعالى تحصيلَ هذه الآثارِ بدون أسبابها؛ فقد أساء الأدب"[3].

ثانيًا: صفات السنن الإلهية

بما أنَّ هذه السنن مضافةٌ إلى الله ﷻ؛ فهي سننٌ محكمةٌ منضبطة، لا يمكن أن تتخلف، أو تضطربَ، ولذلك يمكن أنْ نجمل بعض هذه الصفاتِ، كما يلي:

1- اضطراد السنن الإلهية:

مما لا شكَّ فيه، أنَّ السنن الإلهيةَ توصف بالاطراد؛ فهي لا تتخلف أبدًا، فإذا تحققت شروطُها، وانتفت موانعُها؛ فهي واقعةٌ، لا محالة، فإنَّ وقوعَها في بعض

---

[1] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج14، ص58.

[2] السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، د.عبد الكريم زيدان، ص 13..

[3] الذخيرة، القرافي، ج13، ص248.

الأوقات، وتخلفَها في بعضها؛ ينفي عنها خصائصَ السننِ التي من مقاصدها العظةُ والاعتبارُ، وكذلك، فإنَّ النصوص وردت قاطعةً بأنَّ سنن الله لا تتخلف، قال ﷻ ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[فاطر43]، ومن حكمة العليمِ الخبير أن لا يجعلَ المتماثلاتِ مختلفاتٍ، ولا يجعلَ المختلفاتِ متماثلاتٍ، وعدمُ الاضطرادِ في ذلك يكون منافيًا للحكمة من قصص الأنبياء والمرسلين والأممِ السابقةِ، لكن بيقين، ورودُ هذه الأخبارِ في الكتاب والسنةِ له هدفٌ عظيمٌ ومقصدٌ مهمٌّ، قال الله قال ﷻ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[يوسف111].

2- ثبات السنن الإلهية:

من الحِكِم الملازمة للسنن أنها تأتي للعظة والاعتبار؛ فيلزم من ذلك أنها ثابتةٌ لا تتغير بتغير الأمكنةِ والأزمنةِ؛ وإلا فقدتِ العظةَ والاعتبارَ منها، فمن عظمة هذه السننِ أنَّ نتائجَها مرتبطةٌ بأسبابها، فثباتُها صفةٌ لازمةٌ لها، وقد منع الله عنها التبديلَ والتحويلَ، كما قال الله ﷻ ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[فاطر43]، وقد وردتِ الكلمتان بصيغة النكرة، وفي تفسير الآيةِ يقول الطاهرُ بنُ عاشورٍ: "ولن لتأكيد النفي، والخطابُ في تجد لغير معين؛ فيعمُّ كلَّ مخاطب، وبذلك يتسنى أن يسير هذا الخبرُ مسيرَ الأمثال. وفي هذا تسليةٌ للنبيء ﷺ وتهديدٌ للمشركين، والتبديل: تغييرُ شيءٍ... والتحويلُ: نقلُ الشيء من مكان إلى غيره، وكأنه مشتقٌ من الحول وهو الجانب، والمعنى: أنه لا تقع الكرامةُ في موقع العقاب، ولا يُترَك عقابُ الجاني، وفي هذا المعنى قولُ الحكماء: ما بالطبع لا يتخلف ولا يختلف"[1]، وقد فرق العلماء في هذا الباب بين نوعين من السنن، فالأولُ هو السننُ الإلهيةُ المتعلقةُ بالدينِ وأوامرِه ونواهيْه، وطاعةِ المؤمنين، وطغيانِ المجرمين، وما يحلُّ بهم، فهذه سننٌ لا تتخلف أبدا، والثاني السننُ الإلهيةُ المتعلقةُ بالأمور الطبيعية كالشمسِ، والقمرِ، والمطرِ، والزلازلِ، وغيرِ ذلك، فهذه قد يغيّرُها الله لحِكِم معينة، كما حبس اللهُ الشمس ليوشعَ بنِ نونَ، وكما شقَّ القمرَ لرسول الله ﷺ، وكما جعل عصا موسى حيةً، وغيرِ ذلك مما قد يغير الله سنن هذه المخلوقات، كما يشاء سبحانه وتعالى[2].

---

[1] التحرير والتنوير، ج22، ص338.

[2] انظر: جامع الرسائل، ابن تيمية، ج1، ص52.

3- عموم السنن الإلهية:

السنن الإلهية ربانيةُ المصدرِ؛ لذلك يتساوى جميعُ الخلق في الوقوع تحت نواميسِها، فليس بين الله وبين خلقِه نسبٌ[1]، فسننُ الله تعالى لا تحابي أحدًا، ولا تجاملُه، حتى الأنبياءُ والمرسلون فتجري عليهم سننُ الله كبقية الخلق، فقال الله ﷻ مخاطبًا رسوله ﷺ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[الزمر30]، وفي رسالة واضحة لأصحاب رسول الله ﷺ يقول الله تعالى لهم ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[النساء123]، وسببُ نزولِ الآيةِ الكريمةِ يوضح هذا المعنى الذي ذكرناه عن عموم السننِ الإلهيةِ، فقد قال مسروقٌ: "احتجَّ المسلمون وأهلُ الكتابِ، فقال المسلمون: نحن أهدى منكم، فأنزل الله عزوجل ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾"[2]، وفي تفسير الآيةِ يقول ابنُ كثيرٍ: "الدينُ ليس بالتحلي ولا بالتمني، وليس كلُّ من ادعى شيئا؛ حصل له بمجرد دعواه، ولا كلُّ من قال: (إنه هو المحقُّ)؛ سُمع قولُه بمجرد ذلك، حتى يكونَ له من الله برهانٌ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾أي: ليس لكم ولا لهم النجاةُ بمجرد التمني، بل العبرةُ بطاعة الله، و اتباعِ ما شرعه على ألسنةِ رسلِه الكرامِ؛ ولهذا قال بعده: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ كقوله ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[الزلزلة 7و 8]"[3].

4- العدل والحكمة في السنن الإلهية:

من الثوابت الراسخةِ في عقيدة المسلمين أنَّ الحقَّ تبارك وتعالى لا يمكن أن يقع منه ظلمٌ، أو عبثٌ، أو لهوٌ، تعالى سبحانه عما يقول الظالمون علوًّا كبيرا، فالعدل والحكمة من أعظم صفاتِه، تعالى، فقال ﷻ ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف49]، وقال ﷻ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا ﴾[يونس44]، والعقوبات التي تنزل على العباد في الدنيا أو في الآخرة هي نتيجةٌ لما ارتكبوه من ظلمٍ ومعاصٍ، قال ﷻ ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾[النساء123]، وقال ﷻ ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾[القصص59]، ولا يمكن أن يعاقب الملكُ الرحيمُ الودودُ عبادَه الصالحين المصلحين؛ قال ﷻ ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾[هود117].

---

[1] يُنسب هذا القولُ لأبي بكرٍ الصديقِ، رضي الله عنه، رواه بسنده عنه أبو نعيم في الحلية، ج1، ص35.

[2] رواه سعيد بن منصور، انظر: التفسير من سنن سعيد بن منصور، ج4، ص1377.

[3] تفسير ابن كثير، ج2، ص417.

وأما الحكمة فهي من أخصِّ صفاتِه تعالى، ومن أسمائه الحسنى الحكيمُ، والحكمةُ تعني وضعَ الشيءِ في موضعه الصحيحِ، ومن أحكمُ و أقدرُ من الله تعالى على ذلك؟ قال ﷻ ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[الحشر24]، والله تعالى أعمالُه كلُّها فيها حكمةٌ، وإن جهلها الخلقُ، فلا يمكن أن يكون الإلهُ العظيمُ الحكيمُ الخبيرُ يقضي بسننٍ فيها لهوٌ ولعبٌ، تعالى الله عما يقول المعتدون، فقال الله ﷻ في استفهامٍ استنكاريٍّ لكلِّ صاحبِ نفسٍ مريضةٍ قد يظن أنَّ الله ظلمه، أو خلقه للعبِ واللهوِ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾[المؤمنون115و116].

المطلب الثاني:
دور السنن الإلهية في استشراف المستقبل

من دراستنا للسننِ الإلهيةِ؛ يتبينُ أنها ثابتةٌ، ومطَّردةٌ، ولا تتخلفُ، أو تتبدلُ، أو تتحولُ، وهذا يجعلُ من دراستِها والوقوفِ على نواميسها أمرًا بالغَ الأهمية، فهي ليست مجردَ قصصٍ ماضيةٍ، ولكنها تستشرفُ لنا الواقعَ الذي نعيشُ فيه، وتفسرُلها أحداثَه، والأهمُّ من ذلك أنها تجعلُنا قادرينَ على استشراف المستقبلِ، والاستعدادِ له، والتخطيطِ لما يمكن أن نقوم به في المهامِ الجسامِ التي ننتظر حدوثَها، ولعل الاهتمامَ بهذه السننِ الإلهيةِ يُعدُّ سبقًا إسلاميًّا رائدًا، ففي العصرِ الحديثِ ظهرت دراساتُ الجدوى التي تتنبأُ بالمستقبلِ الاقتصاديّ للمؤسساتِ والشركاتِ، وعلى مستوى الدولِ؛ فإنَّ الدولَ العظمى تقومُ بعملِ استراتيجياتٍ وخُططٍ طويلةِ المدى لما ستقوم به على المستوى الاجتماعيّ، والاقتصاديّ، والسياسيّ، والعسكريّ، وهم في ذلك كلِّه يفيدون من تجاربِ الماضي وسننِه وأحداثِه، وهو ما ورد صريحًا في كتاب الله ﷻ وسنةِ رسوله ﷺ، قال الله ﷻ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[الأنعام11]، وقال ﷻ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[يوسف111]، وهذه الآيةُ جاءت في ختام سورةِ يوسفَ التي ورد فيها قصةُ يوسفَ كاملةً، ولذلك فإنَّ الطبريَّ بعد أن سرد فضلَ اللهِ على نبيه يوسفَ، عليه السلام، في نجاتِه، وتمكينِه، ونصرِه على إخوتِه، ولقائه بوالديه؛ قال الطبريُّ بعد ذلك "فقال جل ثناؤه للمشركين من قريشٍ من قومِ نبيّه محمدٍ ﷺ: لقد كان لكم، أيها القوم، في قصصهم عبرةٌ؛ لو اعتبرتم به، أنَّ الذي فَعَلَ ذلك بيوسفَ وإخوتِه، لا يتعذَّر عليه فعلُ مثلِه بمحمد ﷺ، فيخرجُه من بين أظهُرِكم، ثم يظهرُه عليكم، ويمكِّنُ له في البلاد، ويؤيدُه بالجند والرجالِ من الأتباعِ والأصحابِ، وإن مرَّت به شدائدُ، و أتت دونه الأيامُ والليالِيْ والدهورُوالأزمانُ"[1].

إنَّ الناظر في سنة المصطفى؛ ﷺ يجد فيها كثيرًا من كلامه عن الأحداث الماضية؛ وذلك لأخذ العبرةِ والعظةِ منها، فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين أنه قال: "إنَّ رجلًا كان فيمن كان قبلكم، أتاه الملكُ؛ ليقبضَ رُوحَه، فقيل له: هل عملت من خير؟

[1] تفسير الطبري، ج16، ص313.

قال: ما أعلم، قيل له: انظر، قال: ما أعلم شيئا غيرَ أني كنت أبايعُ الناسَ في الدنيا وأجازيهم، فأنظرُ الموسرَ، و أتجاوزُ عن المعسر، فأدخلُه الله الجنة"[1]، وفي استدعاءٍ واضحٍ لأحداث الماضي روى ابنُ أبي شيبةَ عن حذيفةَ ﷺ، قال: "اختلف رجلٌ من أهل الكوفة ورجلٌ من أهل الشام فتفاخرا؛ فقال الكوفيُّ: نحن أصحابُ يومِ القادسية ويومِ كذا وكذا ويوم كذا، وقال الشاميُّ: نحن أصحابُ اليرموكِ ويومِ كذا ويومِ كذا، فقال حذيفةُ: كلاهما لم يُشهِدْه الله هلكَ عادٍ وثمودَ، ولم يؤامرْه الله فيهما لما أهلكهما"[2]، ومن ذلك سنةُ الله في فلكِّ الكروبِ بأسباب من الأعمال الصالحة، فقد ذكر رسول الله ﷺ قصةَ الثلاثةِ الذين انطبقت عليهم الصخرة، وهم في الغار، ففكَّ الله كربتَهم بتوسلهم إلى الله ﷻ بصالح أعمالهم، فأحدُهم توسل ببرِّوالديه، والثاني توسل بعفته مع ابنة عمِّه، والثالثُ بأمانته في دفع أجرةِ عاملِه[3]، وهذا الحديث عمدةٌ في الاستدلال على التوسل بصالح العمل، وهو دليلٌ على أن الله يستجيب الدعاء، ويفكُّ الكرباتِ بهذا التوسل العظيم.

إنَّ استشراف المستقبل بناءً على فهم السنن الإلهية ينقلُ عمليةَ التفكير في المستقبل من التمني والتخمينِ إلى فقه التوقع، وهو فقهٌ قائمٌ على قراءةِ الواقعِ في ضوء الماضي لفهم مآلات المستقبل، ويمكن ذكرُ بعض الأمثلةِ على السنن الإلهية التي يُستشرَفُ بها مستقبلُ الأمة، وذلك كما يلي:

1- سنة التغيير:

قضى الله تعالى أنْ لا يغير أحوالَ قومٍ؛ حتى يكونَ التغييرُ من قِبَل أنفسِهم، و أنه لا يصيبُهم شيءٌ من تبديل أمورهم إلا بما اقترفته أيديهم، وكسبتْه قلوبُهم، قال ﷻ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَايُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد11]، وقد قال إبراهيمُ النخعيُّ في تفسيرها: "أوحى الله عزوجل إلى نبيٍّ من أنبياء بني إسرائيلَ أن قل لقومك: إنه ليس من أهل قرية، ولا أهلِ بيتٍ يكونون على طاعة الله، فيتحولون منها إلى معصية الله؛ إلا تحول الله مما يحبون إلى ما يكرهون، ثم قال: إن تصديق ذلك في كتاب الله ﴿إِنَّ اللَّهَ

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ج4، ص169، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، ج2، ص1195.

[2] الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، ج6، ص407.

[3] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة، باب من استأجر الأجير، فترك الأجير أجره، ج3، ص91.

لَايُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾"[1]، وثبت هذا المعنى عن رسول الله ﷺ، حيث قال: "إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذنابَ البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلًّا لا ينزعه؛ حتى ترجعوا إلى دينكم"[2].

2- سنة الأخذ بالأسباب:

وردتِ الأحكامُ الشريعةُ بضرورة الأخذ بالأسباب وبذلِ الجهود مبلغَ الطاقة، ثم يتوكلُ المسلم على ربه معتمدًا عليه، وواثقًا من أنَّ كلَّ شيء بقدرالله وتوفيقِه، فالله خالقُ كلِّ شيء، وبيده مقاليدُ السمواتِ والأرضِ، حتى إنَّ الله أمر مريمَ بنتَ عمرانَ أنْ تهزَّ جذعَ النخلة، وهي تلد المسيحَ عليه السلامُ، وهي في أوهنِ صحتِها، وقد أجرى الله على يديها معجزةَ حملِ المسيحِ وولادتِه، ومع ذلك أمرها الله بالأخذ بالأسباب؛ وذلك ليتعلم الناسُ أنَّ النجاح والفلاحَ والنتائجَ الطيبةَ لا بدَّ لها من مقدماتٍ وأسبابٍ، قال ﷻ ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[مريم25]، وقال رسول الله ﷺ: "لو أنكم كنتم توكلون على الله حقَّ توكله؛ لرُزقتم كما يُرزق الطيرُ، تغدو خماصًا وتروح بطانا"[3]، فالتوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب؛ لأن الطير تغدو وتروح في طلب رزقها[4].

3- سنة التداول الحضاري:

هذه السنةُ الإلهيةُ من أعظم السنن الإلهية، والسننُ كلُّها عظيمةٌ، حيث إنَّه من مقتضى هذه السنة أنَّ القوة والسطوةَ والتمكنَ والعلوَّ في الأرض، كلُّ ذلك ليس حكرًا على أُمَّةٍ من الأمم، لكنْ قضى اللهُ في هذه السُّنة أنَّ الأيام دُولٌ، وتنتقل القوة؛ بناء على الأخذ بأسبابها، والسعيِ في تحصيلها، قال الله ﷻ ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[آل عمران140]، وقد شهد التاريخُ عبر سنواتٍ طويلةٍ سقوطَ دولٍ، بل سقوطَ قوىً عظمى، كالقوةِ الفارسيةِ والرومانيةِ وغيرِهما؛ تحقيقًا لسنة الله في خلقه بتداولِ

---

[1] رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، ج7، ص2233.

[2] رواه أبو داود في سننه، كتاب الإجازة، باب في النهي عن الغيبة، ج3، ص274، ورواه البيهقي في سننه، كتاب البيوع، باب ما ورد في كراهة التبايع بالعينة، ج5، ص516، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ج2، ص148.

[3] رواه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله، ج4، ص573، ورواه أحمد في المسند، وحكم عليه محققه بأنه صحيح، ج1، ص332، ونقل العراقي تصحيح الحديث عن الترمذي والحاكم، انظر: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، ص1602، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ج1، ص620.

[4] انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا علي القاري، ج8، ص3320.

الأيامِ بين الناس، وقد ضرب الطبريُّ مثلا بما حدث بين المسلمين ومشركي مكةَ؛ فإنه "يعني ب(الناس)، المسلمين والمشركين، وذلك أن الله عزوجل أدال المسلمين من المشركين ببدر، فقتلوا منهم سبعين، وأسروا سبعين، وأدال المشركين من المسلمين بأحُد، فقتلوا منهم سبعين، سوى من جرحوا منهم"[1].

4- ضرورة التفريق بين الغيب النسبي والغيب المطلق:

إنَّ تعاطي المسلمين مع السنن الإلهية ينبع من عقيدةٍ راسخةٍ، و إيمانٍ ثابتٍ، ولذلك لا يخرج هذا التعاملُ مع ما ثبت في الكتاب والسنة من أصول العقيدة، ويأتي في مقدمتها الإيمانُ بالغيبيات التي ورد ذكرُها في الكتاب والسنة، وفي هذا الباب، يمكن التفرقةُ بين نوعين من الغيب، وذلك كما يلي:

الأول الغيبُ المطلقُ: هو الغيب الذي لا يستطيع أحدٌ معرفتَه، فهو غيبٌ يفاجئ جميع الخلق بلا مقدمات[2]، فهو كلُّ ما استأثر الله تعالى وحده بعلمه، ولم يُطلع عليه أحدًا من خلقه، ولا سبيل لمعرفته عن طريق العقل، أو طريق الوحي، كموعد قيام الساعة، إلا لمن شاء الله أن يُطلع أحدًا من رسله عليه.

الثاني الغيبُ النسبيُّ: هو الغيب الذي يعلمه بعضُ الناس، ويخفى عن الآخرين، فهو نسبيٌّ؛ لأنَّه غيبٌ بالنسبة لبعض الناس، وليس غيبًا للآخرين، ومثالُ هذا النوعِ من الغيب، أنَّه "قد تُسرَقُ حافظةُ نقودي مثلا، و أنَا لا أعلم من الذي سرقها؟ فهو غيبٌ عني، ولكنه معلومٌ للذي سرق، وللذي سهَّل له طريقةَ السرقةِ، بأنْ حرس له الطريقَ؛ حتى يسرق دون أنْ يفاجئَه أحدٌ، وقد يكون قد صدر قرارٌ هامٌّ بالنسبة لي كترقية، أو فصلٍ، أو حكمٍ، لم يصلني. فأنا لا أعلمه، ولكن الذي وقَّع القرارَ أو الحكمَ يعلمه"[3].

إنَّ التفرقةَ بين نوعي الغيب مهمٌّ جدًّا في موضوع استشراف المستقبل؛ فإنَّ الاستشراف يتعلق بالغيب النسبيّ الذي يمكن استنتاجُه من مقدمات ومعلوماتٍ متاحةٍ، حيث يمكنُ توقعُ النتائجِ المستقبليةِ؛ بناء على المقدمات والأحداثِ السابقةِ، بخلاف الغيب المطلق الذي لا قِبَل للخلق بمعرفته.

---

[1] تفسير الطبري، ج7، ص239.

[2] انظر: تفسير الشعراوي، ج1، ص253.

[3] تفسير الشعراوي، ج1، ص253.

المبحث الثاني

تجليات السنن الإلهية في قصة بني إسرائيل بسورة الأعراف

سورة الأعراف من السور المكية، وهي من السور التي ورد فيها الإخبارُ عن بني إسرائيلَ في أجزاءَ كثيرةٍ من السورة المباركة، وورد فيها التحذيرُ من الإفساد في الأرض، وتبع ذلك توضيحُ عو اقبِ الأفعالِ الإنسانية، وقد جاء في السورة قصةُ بني إسرائيل بعد غرق فرعون، وما أنعم الله به عليهم، ومخالفتُهم لنبيِّ الله موسى وأخيه هارونَ.

وفي هذا المبحث سوف نتحدث عن موضوعين:

المطلب الأول: التعريف بسورة الأعراف وقصةِ بني إسرائيل فيها.

المطلب الثاني: السنن الإلهية في قصة بني إسرائيل بسورة الأعراف.

المطلب الأول:

التعريفُ بسورة الأعراف، وقصةِ بني إسرائيل فيها

سورة الأعراف هي السورة السابعة في القرآن الكريم، وهي سورةٌ مكيةٌ في معظم آياتها، وسُمِّيت بهذا الاسم نسبةً إلى الآيات التي ذُكِر فيها أصحابُ الأعراف في عرصات القيامة، وتضمُّ السورةُ أخبارًا عن قصص كثيرٍ من الأمم السابقة، ومنها قصةُ بني إسرائيلَ التي ورد فيها الكثير من مظاهر العصيانِ، والطغيانِ، والعنادِ.

أولًا: التعريف بسورة الأعراف

سورةُ الأعراف إحدى سور السبعِ الطوال، و آياتُها مائتان وستُ آياتٍ، كلُّها مكيةٌ، ما عدا بضعَ آيات؛ فقد نزلت بالمدينة المنورة، وذلك من أول قوله ﷻ ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ...﴾الآية[الأعراف163]، حتى قوله ﷻ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌرَحِيمٌ﴾[الأعراف167][1]، فهذه خمسُ آيات، وقال قتادة: "إنَّ

[1] انظر: الناسخ والمنسوخ، أبو القاسم المقري، ص90.

الذي أنزل بالمدينة البقرةُ وآلُ عمرانَ والنساءُ والمائدةُ و آيةٌ من الأعراف ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ والأنفالُ وبراءةُ والرعدُ..."[1]، وذكر أبو عمرو الداني أن المدنيَّ في الأعراف هو قوله ﷻ ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[الأعراف163]، ويُفهم من كلامه أنَّها آية واحدة[2]، وأما القول بأنَّ المدنيَّ من السورة بضعُ آيات، فقد نقله علمُ الدين السخاويُّ عن مقاتلٍ، مضعفا لهذا الرأي، فقال: "وزعم مقاتلُ بنُ سليمانَ أنَّ الأعراف نزل منها بالمدينة قوله عزوجل: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾[الأعراف163]إلى قوله سبحانه: ﴿مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[الأعراف172]"[3]، ويكون المدنيُّ بناء على هذا الراي ثمانيَ آياتٍ، واختار الزركشيُّ أن يكون المدنيّ ثلاثَ آيات[4]، ونقل البقاعيُّ عن جملة من السلف، منهم ابنُ عباس، ومجاهدٌ، وقتادةُ، أنَّها ثمانِ آيات[5].

بناءً على ما سبق؛ فإنَّ المدنيَّ هو بضعُ آياتٍ حسب قولِ جماهيرِ العلماءِ، ومن الممكن أنْ نحملَ الرأيَ القائلَ بأنها آيةٌ ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ على أنَّها بدايةُ الآياتِ المدنيةِ، ويَلحقُ بها ما يُتمُّ معناها من الآيات التالية؛ حتى نجمعَ بين الرأيين، لكنَّ السيوطيَّ قطع بأنَّ قولَ قتادةَ قد حصر المدنيَّ في هذه الآيةِ فقط، حيث قال: "الأعراف مكيةٌ إلا آيةً ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ وقال غيرُه: من هنا إلى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[الأعراف172] مدنيٌّ"[6].

ثانيًا: فضل سورة الأعراف

سورةُ الأعراف من جملة القرآن الكريم، فهو كتابُ اللهِ المباركُ الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه، فالسورة تدخل في فضلِ القرآنِ الواردِ في الكتاب والسنة، إضافةً إلى ما ورد في فضائلها خاصةً، فمن ذلك أنَّها من السبعِ الطوالِ، وقد

---

[1] رواه الحارث المحاسبي في فهم القرآن، ص395.

[2] انظر: البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو الداني، ص134.

[3] جمال القراء وكمال الإقراء، السخاوي، ص54.

[4] انظر: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص200.

[5] انظر: مصاعد النظر في مصاعد الإشراف على مقاصد السور، ج2، ص128.

[6] الإتقان، ج1، ص 57.

قال رسول الله ﷺ "من أخذ السبعَ الأولَ؛ فهو حبرٌ"[1]، وقد وصفها اللهُ تعالى بالمثاني، وفي ذلك يقول ابنُ عباسٍ: "وإنما سُمَّيت السبعَ الطوالَ مثانيَ؛ لأنَّ الفرائضَ والحدودَ والأمثالَ والخبرَوالعبرَ ثُنِّيَتْ فيها"[2]، وقد ذكر رسول الله أنَّ من نعم الله عليه هو إنزالُ المثاني "أُوتي موسى عليه السلام الألواحَ، وأُوتيتُ المثانيَ"[3]، وقد قيل في المقصود بالسبع المثاني أنَّها فاتحة الكتاب، لكن روى الطبرانيُّ عن ابن عباس أنَّها هي السبع الطوال الأُوَل[4]، وروى البيهقيُّ عن مجاهدٍ القولَ نفسَه[5].

الحروف المقطعة في افتتاح سورة الأعراف:

من المسائل التي كثر حولها خلافُ العلماء في تفسيرها هذه الحروفُ المقطعة، ومنها افتتاحُ سورةِ الأعراف (المص)، ويمكن تلخيصُ بعضِ أقوالِ العلماءِ في تفسير هذه الحروفِ، كما يلي:

1- المص، معناه: أنا الله أفضل، رواه الطبريُّ عن ابن عباسٍ، وسعيدِ بنِ جبير[6].

2- المص، هو اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة[7].

3- المص، هو اسمٌ من أسماء الله، وقَسمٌ من أقسامه، روى ذلك ابنُ أبي حاتمٍ عن ابنِ عباسٍ[8].

هذه بعض المعاني التي وردت عن سلفِ الأمةِ، وقد ذكر أهلُ العلم معانيَ أخرى، منها حسابُ الجُمَّل، ومنها أنَّها حروفُ هجاءٍ مقطعةٌ، وأنَّها فواتحُ يفتتح اللهُ بها القرآنَ، ومنها أنَّها اسمٌ للسورة، ومنها أنَّها لشدِّ انتباه المستمعين للقرآن الكريم من المشركين، ومنها ليُعلَم أنَّ السورةَ قبلها قد انقضت، وذكر أصحابُ هذه الآراءِ أدلةً على ما ذهبوا إليه[9]، وإجمالا؛ فإنَّ الحروفَ المقطعةَ من كلام الله تعالى، ولذا قال ابنُ كثيرٍ

---

[1] رواه أحمد في المسند، وحسَّنه محققه شعيبُ الأرنؤوط، ج40، ص501، ونقل ابنُ حجرٍ صحةَ سندِه عن بعض العلماء، إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، ج17، ص115.

[2] تفسير الطبري، ج1، ص103.

[3] رواه الإسماعيلي في معجم شيوخه، ج2، ص614، وصححه الألباني في السراج المنير في ترتيب أحاديث الجامع الصغير، ج1، ص14.

[4] انظر: المعجم الكبير، ج11، ص59.

[5] انظر: شعب الإيمان، ج4، ص73.

[6] انظر: تفسير الطبري، ج12، ص291.

[7] رواه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره، ج2، ص74.

[8] انظر: تفسير ابن أبي حاتم، ج5، ص1437.

[9] انظر: تفسير الطبري، ج1، ص204.

عنها: "لا شكَّ أنَّ هذه الحروفَ لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثًا ولا سدىً؛ ومن قال من الجهلة: إنَّه في القرآن ما هو تعبدٌ، لا معنى له بالكلية، فقد أخطأ خطأً كبيرًا، فتعين أن لها معنىً في نفس الأمرِ، فإن صحَّ لنا فيها عن المعصومِ شيءٌ؛ قلنا به، وإلا وقفنا حيث وقفنا، وقلنا: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران 7]، ولم يجمعِ العلماءُ فيها على شيءٍ معينٍ، وإنما اختلفوا، فمن ظهر له بعضُ الأقوال بدليل؛ فعليه اتباعُه، وإلا فالوقفُ؛ حتى يتبين، هذا مقام"[1].

ثالثًا: قصة بني إسرائيل في سورة الأعراف

وردت قصةُ بني إسرائيلَ مع نبيهم موسى عليه السلامُ في جزء كبير من سورة الأعرافِ، حيث إنها تبدأُ من قوله ﷻ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾[الأعراف103]، وتنتهي عند قوله ﷻ ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأعراف171].

بدأت قصة بني إسرائيل بذكر بعثةِ موسى عليه السلام إلى فرعون وقومِه، ثم الجدالِ بينهما، وطلبِ فرعون من موسى الآياتِ الدالةَ على صدقه، ثم استحضارِ السحرة وتحدي موسى لهم وإيمانِهم بعد أن رأوا الآيةَ الدامغةَ القاطعةَ، ثم ورد بعد ذلك ما وقع من عذابٍ لفرعونَ وقومِه، وطلبِهم النجاةَ من موسى بدعائه ربَّه، ثم يأتي ذكرُ نهاية فرعونَ وجندِه غرقًا في اليمِّ، وتأتي المرحلةُ الجديدة بالعودة إلى فلسطين، وما حدث لبني إسرائيلَ من انتكاسةٍ عقديةٍ وطلبِهم من موسى إلهًا؛ حيث رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم؛ فأحبوا أن يكون لهم إلهٌ كهؤلاء القوم، ثم يأتي ذكرُ لقاءِ موسى بربّه، وعبادةِ بني إسرائيل العجلَ الذهبيَّ، ثم تقسيمِ بني إسرائيل اثني عشر سبطًا، ثم دخولِهم القريةَ، واعتدائهم في الدعاء، ثم يأتي ذكر مخالفتِهم أوامرَ الله تعالى واعتدائهم في السبت، وعقوبةِ الله عليهم، وتُختَم آياتُ بني إسرائيل برفع الجبل فوقهم، كأنهم ظلة.

بعد هذا العرض الموجز، يمكن تلخيصُ مراحل بني إسرائيل في هذه السورة، كما يلي:

[1] تفسير ابن كثير، ج1، ص160.

1- مرحلة الاستضعاف والنجاة:

بدأتِ القصة بإرسالِ موسى وأخيه إلى فرعونَ وملئِه، وذكرِ العناد الكبيرِ الذي لاقى به فرعونُ وقومُه رسالةَ الله إليهم، وطلبوا المعجزات، ولكنهم كذَّبوا بها، فأعذر الله إليهم، وحق عليهم العقابُ الإلهيُّ؛ فلقوا حتفَهم غرقا في اليمِّ، ونجَّا اللهُ فرعونَ ببدنه؛ ليكون آيةً وعبرةً للناس.

2- الانحراف الأول بعد النجاة:

بعد نجاة موسى وبني إسرائيل الذين شاهدوا الآياتِ الباهرةَ، والمعجزاتِ الدامغةَ، فإذا بهم ينتكثون؛ فيطلبون عبادة إلهٍ غيرِالله؛ فطلبوا من موسى إلهًا يعبدونه من دون الله، حيث رأوا عبدة الأصنام؛ فاشتهت أنفسُهم أن يكون لهم إلهٌ غيرُالله كهذه الأصنام.

3- ميقاتُ موسى وعبادةُ العجل:

تأتي مرحلةٌ مهمة في تاريخ بني إسرائيل، حيث ذهب موسى لميقات ربه لمدة أربعين ليلة؛ وذلك لكي يتلقى الألواح، وفي غيابه حدث أمرٌجللٌ، حيث صنع السامريُّ عجلًا جسدًا له خوار؛ فعبدوه، في أكبرِردةٍ جماعيةٍ بعد رؤيتِهم للآيات العظيمة، وورد في السورة بالتفصيلِ غضبَ موسى عند عودته، وعقوبةَ الله لهم.

4- قصة أصحاب السبت:

تعرض السورةُ قصةَ قرية كانت على شاطئ البحر، حيث ابتلاهم الله بأن حرَّم عليهم الصيدَ يوم السبت، ثم فتنهم بأن أرسل الحيتان إليهم يوم السبت بكثرة واضحة، فانقسموا ثلاثَ فرق: فرقةٍ عاصية، تحايلت على الأمرواصطادت، وفرقةٍ إيجابيةٍ آمرةٍ بالمعروف ناهيةٍ عن المنكر، وفرقةٍ سلبيةٍ لم تعصِ، لكنها لم تأمر بمعروف، ولم تنهِ عن منكر، فكانت العاقبة أن أهلك الله الفرقة العاصية بمسخهم قردةً، ونجّى الفرقةَ الناهيةَ، ولم يرد ذكر مآل الفرقة الملتزمة السلبية.

5- رفع جبل الطوروأخذ الميثاق:

يأتي ختام قصة بني إسرائيل في هذه السورة الكريمة بمشهد رفعِ جبل الطور فوق رؤوسهم كأنه سحابة، وأخذِ الميثاق عليهم بأن يلتزموا بتعاليم التوراة بقوة وجدية.

المطلب الثاني:

السنن الإلهية في قصة بني إسرائيل بسورة الأعراف

تُعدُّ قصةُ بني إسرائيل في القرآن الكريم أنموذجًا حيًّا لتجسيد السننِ الإلهيةِ الثابتةِ في مسيرة الأمم، وتُقدّم سورة الأعراف بوجه عام، وفي قصة بني إسرائيلَ بوجه خاصٍّ حِكَمًا وعبرًا ومواعظَ، وتكشف عن مبادئَ تربويةٍ وعظاتٍ تاريخيةٍ تنطلق من الأنظمة المحكمةِ للسن الإلهية، وهذه السنن الإلهية لا تحابي أحدًا، ولا تجامل جماعةً، بل هي قوانينُ ثابتةٌ، إذا حدثت مقدماتُها؛ وجبت نتائجُها، ويمكن ذكرُ هذه السنن الإلهيةِ المستنبطةِ من قصة بني إسرائيل في هذه السورة الكريمة، وذلك كما يلي:

1. سنة استخلاف المتقين في الأرض.
2. سنة الابتلاءِ والتمحيصِ.
3. سنة الاستدراجِ والإملاءِ للظالمين.
4. سنة العواقب في نقض المواثيق.
5. سنة التغيير لا يكون إلا بتغيير النفوس.

1- سنة استخلاف المتقين في الأرض:

لقد ورد في السورةِ المباركةِ الربطُ بين التمكينِ في الأرض والاستقامةِ على منهج الله، واتباعِ أوامرِه، واجتنابِ نواهيه، ويبدو هذا جليًّا في حوار موسى مع قومِه عندما اشتكوا إليه أنهم قد أصابهم الأذى، فقد قرر فرعون وقومُه إنزالَ أشدِّ العذاب ببني إسرائيل، فأعلمهم موسى عليه السلام بهذه السنة الإلهية؛ حتى لا يسري اليأس من رحمة الله في قلوبهم؛ فقد أخبرهم وهم في غاية الضعفِ والذلةِ والهوانِ أنَّ النصرَ والتمكينَ والفوزَ سيكون لهم؛ مقررًا هذه السنةَ الإلهيةَ الثابتةَ التي لا تتخلف ولا تتبدل، قال الله ﷻ ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[الأعراف128]، أي يورثكم "إن صبرتم على ما نالكم من مكروه في أنفسكم وأولادِكم من فرعون، واحتسبتم ذلك، واستقمتم على السداد - أرضَ فرعونَ وقومِه، بأن يهلكَهم ويستخلفَكم فيها، فإن الله يورث أرضَه من يشاء من عباده، (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)، يقول: والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله وراقبه، فخافه باجتناب

معاصيه وأدَّى فرائضه"[1]، والعكسُ صحيح، فإنهم لما تمردوا وعصوا أوامر الله تعالى؛ حُرموا من دخول الأرض المقدسة، بل عاقبهم الله بفترة التيه، وهي أربعون سنة؛ قال ﷻ ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[المائدة26].

لقد ظهر واضحًا في هذه السورة المباركة أنَّ مستقبل بني إسرائيل كان دائمًا له ارتباطٌ بمدى التزامِهم بالعهدِ والميثاقِ مع الله، فكلُّ انحرافٍ كان يقابله عقابٌ، وكلُّ عودةٍ كانت تفتح بابًا للرحمةِ، وهي سنةٌ جاريةٌ لا تتخلف، وقد ذكر موسى عليه السلامُ، بوحيٍ من ربه ﷻ أنَّ اللهَ هو المالكُ الحقيقيُّ لهذه الأرض، وله المشيئةُ الكاملةُ، والإرادةُ المطلقةُ، والقدرةُ العظيمةُ على أن يمنحَها لمن يشاء، وشاء الله بحكمته أن يجعل العاقبةَ للمتقين.

إنَّ الآيةَ الكريمةَ ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[الأعراف128] ورد فيها الأمرُ بالاستعانة والصبر، وفيها تقريرُ العواقب الطيبة للمتقين، فقد "أمرهم بشيئين، وبشرهم بشيئين، أما اللذان أمر موسى عليه السلام بهما، فالأول: الاستعانة بالله تعالى، والثاني: الصبر على بلاء الله، وإنما أمرهم أولا بالاستعانة بالله؛ وذلك لأنَّ من عرف أنَّه لا مدبر في العالم إلا الله تعالى؛ انشرح صدرُه بنور معرفة الله تعالى، وحينئذ يسهل عليه أنواعُ البلاء؛ ولأنَّه يرى عند نزول البلاء أنَّه إنما حصل بقضاء تعالى وتقديره، واستعدادُه بمشاهدة قضاء الله؛ خفف عليه أنواعَ البلاء وأما اللذان بشر بهما، فالأول: قوله: (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ)، وهذا إطماع من موسى عليه السلام قومَه في أن يورثَهم الله تعالى أرضَ فرعونَ بعد إهلاكه، وذلك معنى الإرث وهو جعلُ الشيءِ للخلف بعد السلف، والثاني: قوله: (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) فقيل: المراد أمر الآخرة فقط، وقيل: المراد أمر الدنيا فقط، وهو: الفتحُ والظفرُ والنصرُ على الأعداء، وقيل المراد مجموع الأمرين، وقوله: (لِلْمُتَّقِينَ) إشارةٌ إلى أنَّ كلَّ من اتقى الله تعالى وخافه؛ فالله يعينه في الدنيا والآخرة"[2].

إنَّ العبرة عظيمةٌ؛ فإنَّ المتقين هم أولى الناس بصلاح البلاد؛ لأنَّهم يتقون أسبابَ ضعفِها وسقوطِها، وذلك بالبعد عن الظلم والفسادِ والرذائلِ، وينتهون عن التفرقِ والتخاذلِ والتنازعِ، فهم يسعون في الأرض إصلاحا وفلاحًا، ويخطئ كثيرون حينما

---

[1] انظر: تفسير الطبري، ج13، ص43.

[2] مفاتيح الغيب، الرازي، ج14، ص342.

يعتقدون أن مشيئة الله المذكورةَ في الآيةِ الكريمةِ المتعلقةَ بمنح الأرضِ والتمكينِ، يمكنُ أن تُعطَى لأي أحد، لكن الثابتَ بنصوص الشرع أنَّها لا تعطى إلا لمن أخذ بأسباب القوة، والعلمِ، والتقوى، وذلك من سنن الله في خلقه[1].

إنَّ الآية الكريمة تقرر هذه السنةَ الربانيةَ العظيمةَ من ضرورة الأخذ بالأسباب مع الصبرِ والاستعانةِ بالله والثقةِ في موعوده، والأيامُ دولٌ؛ فعلى المؤمنين أن لا ييأسوا، ولا يحزنوا، لكنَّ المطلوب منهم الاتحادُ على الحق، والاعتصامُ بالعدل، والصبرُ على الشدائد، والأخذُ بأسباب القوة والنهضة، فسيأتيهم تمكينُ الله لهم بوعده الصادقِ[2].

2- سنة الابتلاء والتمحيص:

شاء الله تعالى أنْ لا يجعلَ هذه الدنيا نعيمًا خالصًا لا كدرَ فيه؛ لكنَّه بحكمته البالغةِ، كما خلق فيها النعيمَ والمتعَ والراحةَ؛ فإنَّه كذلك جعلها دارَ بلاءٍ و ابتلاءٍ، فلا يَسلَمُ الناس من مصائبَ ومحنٍ وأمراضٍ وأوجاعٍ، وهذه الابتلاءاتُ ليس المقصدُ منها مجردَ تعذيبِ الناس، لكنَّ لها مقاصدَ عليا في التمحيص، والتذكيرِ، ورفعِ الدرجات، والتكفيرِ عن السيئات، وحتى النعمُ والأفضالُ، فيها ابتلاءٌ للناس، فقد قال سليمانُ عليه السلام مقررا ذلك لما أنعم الله عليه، وأحضر له عرشَ بلقيسَ في معجزة كبرى ﴿فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[النمل40]، وقرر الله سنة التمحيص عندما انكسر المسلمون في غزوة أحد، ووقع بهم من البلاءِ والكربِ ما هو معلومٌ، قال الله ﷻ ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾[آل عمران141]، وقصصُ الأنبياء مليئةٌ بمثل هذه الابتلاءات الممحِّصة.

لو نظرنا في قصة بني إسرائيلَ المذكورةِ في سورة الأعراف؛ نجد أن موسى عليه السلام قد ابتُلي في قومه بشدائدَ عظيمةٍ، منها أنه لما ذهب لميقات ربّه أربعين ليلة؛ ظهرت من بني إسرائيل أمورٌ عجيبةٌ؛ حيث استجابوا لفتنة السامريّ وعبدوا العجل، قال ﷻ ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾[الأعراف148]، وهذا من أشدّ أنواع البلاء، حيث إنَّ نبيَّ الله يُفاجأُ أنَّ قومَه الذين عاينوا الآياتِ والدلائلَ، قد عبدوا عجلًا من دون الله تعالى، فلا شكَّ أنه ابتلاءٌ عظيمٌ، وفي الوقت نفسِه تمحيصٌ يُكشَف به

[1] انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج2، ص380.

[2] انظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ج9، ص38.

الصـــادقُ من الكاذب، والمخلصُ من المنافق، وفيه فوائدُ تنقيةِ الأمة من المنافقين والمرجفين الذين لا يزيدونها إلا خبالًا وضعفًا وسقوطًا.

لقد ورد وصفُ البلاءِ الشديدِ الذي لحق بموسى وأخيه هارونَ عليهما السلام، حيث قال ﷻ ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[الأعراف150]، والآية تُظهر شدةَ الغضب الذي حلَّ بموسى عليه السلام، حتى إنه ألقى الألواح، رغم قداستِها ومكانتِها الرفيعةِ، وقد أعلمه الله تعالى بما فعل قومُه؛ فتمالك، لكنه لما رأى أفعالهم؛ تملكه الغضبُ، فقد قال رسول الله ﷺ: "ليس الخبركالمعاينة، إنَّ الله عزوجل أخبرموسى بما صنع قومُه في العجل، فلم يلقِ الألواح، فلما عاين ما صنعوا؛ ألقى الألواح؛ فانكسرت"[1]، فإنَّ الأسِف هو شديد الغضب، وقيل: شديدُ الحزن[2]، وترتيب الأحداث في الآيات المتعلقة بهذا الحدث، أنَّ المخالفين سُقط في أيديهم، أي ندموا على فعلهم، ثم رجع موسى إليهم غضبانَ أسفًا، حيث قال الله ﷻ ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الأعراف149]، ثم قال الله ﷻ ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾[الأعراف150]، والمتبادرللذهن أنَّ الترتيب ينبغي ذكرُعودةِ موسى، ثم ندمِ القوم، لكن جاء الترتيب القرآن المحكم بذلك "تعجيلا بذكر ما كان لاتخاذهم العجل من عاقبة الندامة، وتبينِ الضلالة، موعظةً للسامعين؛ لكيلا يعجلوا في التحول عن سنتهم، حتى يتبينوا عو اقبَ ما هم متحولون إليه"[3]، وقد عاقبهم الله بعذاب أليمٍ في الدنيا، وقيل: في الدنيا والآخرة، لكن معظم المفسرين على أنَّ عقوبتَهم كانت في الدنيا، وذلك بنصّ الآية، فقال ﷻ ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾[الأعراف152]، والغضب هو ما نزل بهم من أمر الله لهم بأن يقتل بعضُهم بعضًا، والذلة ما نزل بهم من الهوانِ والذلّ، وقيل: هي إخراجُهم من ديارهم، وقيل: هي الجزية، وهو تأويل بعيدٌ؛ فمن دفع الجزيةَ هم الذريةُ في

---

[1] رواه أحمد في المسند، وصححه محققه شعيب الأرنؤوط، ج4، ص260، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد، ج1، ص153.

[2] انظر: تفسير الطبري، ج3، ص284.

[3] التحريروالتنوير، ابن عطية، ج9، ص111.

العصـــور التالية[1]، ويأتي تذييلُ هذه الآيةِ الكريمة؛ ليعطيَنا العبرةَ والعظةَ من هذه السنة الإلهية الكبرى، حيث قال الله ﷻ ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾[الأعراف152]، يعني هي سنةٌ ربانية لا تتخلف أبدا في الظالمين والمفترين، وذلك أنَّ العقاب سينال هؤلاء، كما نال بني إســرائيل، قال أبو قلابة: "هو جزاءُ كلِّ مفترٍ يكون إلى يوم القيامة: أن يذله الله عزوجل "[2]، وقال الفضـيلُ بنُ عياضٍ: " كل شـيء في القرآن ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ ونحوُ هذا، يقول: كما أُهلِك الذين من قبل؛ فكذلك يُفعَل بالمفترين، ونحو هذا"[3].

3- سنة الاستدراجِ والإملاءِ للظالمين:

قد يغترُّ بعضُ الطغاةِ والظالمين والمعتدين بإمهال الله لهم؛ فيظنون أنَّهم نجوا بأعمالهم، لكنَّ الله تعالى يحلمُ على عباده، ويتودد إليهم طلبًا منهم التوبةَ والإقلاعَ، وهذا من تمام عدلِه، وكريمِ فضله على الناس، لكن مع التمادي في الظلم والمعاصي، يأخذُهم الله تعالى أخذًا شـديدًا، فعلى الرغم من أنَّ بني إســرائيل رأوا وعاينوا من الآيات ما لم يره أحدٌ قبلهم، فقبل هلاك فرعون، رأوا معجزةَ العصـا الكبرى، واليدَ البيضـاءَ، وشـقَّ البحرِ، والعذابَ بالطوفانِ والجرادِ والقملِ والضــفادعِ والدم، إلى غير ذلك، ثم يحدث منهم العجب؛ حيث اســتمر كثير منهم في الكفر والجحود، وعبدوا العجل، و اتخذوا الأوثان، فكان ذلك من مظاهر الاستدراج، حيث أُغدقت عليهم النعم رغم انحرافهم.

لقد ورد في ســورة الأعراف موقفٌ مهيبٌ جدًّا، وهو من الآيات الكبرى، حيث رفع الله الجبلَ فوقهم، فقال ﷻ ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَ اقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأعراف171]، قال الســديُّ: "لما قال الله لهم ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُـجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾[البقرة58]، فأبوا أن يسـجدوا؛ أمر الله الجبل أنْ يقع عليهم، فنظروا إليه وقد غشـيهم، فسـقطوا سجدًا على شـق، ونظروا بالشـق الآخر، فرحمهم الله؛ فكشـفه عنهم "[4]، فرغم هذا التهديدِ العظيمِ، وما رأوه من الجبل مرفوعًا؛ فإنهم لم يتعظوا، بل اســتمروا في المخالفة، وهذا من الإملاء لهم؛ إذ أمهلهم الله بعد أن رأوا آيات التهديد؛ ليزدادوا إثما.

---

[1] انظر: تفسير الشوكاني، ج2، ص285.

[2] رواه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره، ج2، ص90.

[3] رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، ج5، ص1572.

[4] رواه الطبري في تفسيره، ج2، ص159.

ومِن حلمِ اللهِ على هؤلاء القوم ما ورد في قصة القرية التي كانت حاضرةَ البحرِ، فقال الله ﷻ ﴿وَاسْـأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِـرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّـبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَـبْتِهِمْ شُـرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْـبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُـقُونَ﴾[الأعراف163]، وهذه القرية، قيل: إنها أيلةُ، وقيل: مدينُ، وقيل: الطورُ، وقيل: طبريةُ[1]، والآية تحكي نوعًا من عذاب الله لهم، وكذلك هو اختبار لقوة إيمانهم، حيث حرَّم عليهم صيد الحيتان يوم السبت، فكانت الحيتان تأتي آمنةً يوم السبت، ولا تأتي في الأيام المباحِ فيها الصيدُ، لكن بعضَهم اعتدى، وخالف أمر الله تعالى، وتحايلوا؛ ليصطادوا يوم السبت[2]، وقامت فئة منهم بالحقِّ والدعوةِ والأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، وهنا تأتي سنة الله بعد الإمهال والاستدراج، ألا وهي العقوبة الشديدة، فقال الله ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُـقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[الأعراف165و166].

4- سنة العواقب في نقض المواثيق:

تبين مما سبق أنَّ ما ذكرناه من أنَّ بني إسرائيل قد خالفوا أوامر الله تعالى كثيرا، ونقضوا العهودَ والمواثيقَ، وقد جاء في سورة الأعراف المآلُ الأليمُ الذي وصلوا إليه، حيث غضب الله عليهم، وأذلهم، وجعل منهم القردة والخنازير، ولم يقف الأمر عند موسى، لكن الأجيال التالية سارت على منهج آبائهم من الظلم والعدوانِ والفسادِ، قال ﷻ ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْـرَائِيلَ عَلَى لِسَـانِ دَاوُودَ وَعِيسَـى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَـوْا وَكَانُوا يَعْتَـدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَـاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[المائدة78و79]، وبين الله ﷻ سبب اللعن الذي لحق بهؤلاء القوم، فقال سبحانه ﴿فَبِمَا نَقْضِـهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِـيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾[المائدة13]، وفي الآية محذوف؛ حيث يكون المعنى: لا تكفروا بالله، فإن من كفر بعد ذلك؛ فهو ضالٌّ، فنقضوا الميثاق؛ فلعنهم الله[3]، وقال ابن عباس: "هو ميثاق أخذه الله على أهل التوراة فنقضوه"[4].

---

[1] انظر: تفسير البغوي، ج3، ص293.

[2] انظر: تفسير مقاتل، ج2، ص70.

[3] انظر: تفسير الطبري، ج10، ص125.

[4] رواه الطبري في تفسيره، ج10، ص126.

إنَّ نقض الميثاق من الكبائر العظمى التي يترتب عليها غضب الله تعالى، وما فعلوه مما ورد ذكرُه في سورة الأعراف من طلبِهم إلهًا غيرَالله، وعبادةِ العجل، والاعتداءِ يومَ السبت، وغيرِذلك من المخالفات الجسيمة، كلُّ ذلك داخلٌ في نقض الميثاق الذي ترتب عليه لعنُهم، والغضبُ عليهم، فإنهم لما نقضوا "الإيمانَ بمن نرسله إليهم من الرسل ونصرَهم، وتعزيرَهم؛ استحقوا لعنتَنا والبعدَ من رحمتنا؛ لأن نقض الميثاق قد دنس نفوسَهم، و أفسد فطرتهم، وقسى قلوبهم؛ حتى قتلوا الأنبياء بغيرحق، و افتروا على مريمَ وبهتوها، وأهانوا ولدَها الذي أرسله الله تعالى لهدايتهم، وإصلاحِ ما فسد من أمرهم، وحاولوا قتله، و افتخروا بذلك بمجرد الشبهة"[1].

5- سنة أن التغيير لا يكون إلا بتغيير النفوس:

من السنن الإلهية الثابتة أنَّ الله يوفِقُ من يأخذ بأسباب التوفيق، وينصرُ من يسلكُ طريقَ النصر، وهكذا، فإن العبد لا بد أن يأخذ بالأسباب، حينها يعينُه الله وييسرُ له أمره، ولذلك لا يمكن لأمة أهملت في واجباتها وعصت ربَّها، ثم تطلبُ التوفيق والسداد، فالإصلاحُ لا يبدأ إلا بإصلاح النفوس وتهذيبها، قال الله ﷻ ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأنفال53]، وقال الله ﷻ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[الرعد11]، وهي سنةٌ ماضيةٌ في الناس لا تتخلفُ ولا تتبدلُ، فالإصلاح لا بد أن يأتيَ من داخل النفوس، وقد حدث هذا مع مشركي مكةَ، حيث أنعم عليهم بإرسال رسول منهم، فكذبوه، وآذوه، فحول الله عنهم هذه النعمةَ، ومنحها للأنصار، واستأصل صناديدَهم في يوم بدر[2]، "نعم لم يكن لآل فرعونَ ومشركي مكةَ حالٌ مرضيةٌ؛ فيغيروها إلى حال مسخوطة، لكن لما تغيرتِ الحالُ المرضيةُ إلى المسخوطة؛ تغيرتِ الحالُ المسخوطة إلى أسخطَ منها، وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفرةً عبدةَ أصنام، فلما بُعِث إليهم بالآيات، فكذبوه وسعوا في إراقة دمه؛ غيروا حالهم إلى أسوأ مما كانت؛ فغيرالله ما أنعم به عليهم من الإمهال، وعاجلهم بالعذاب"[3].

إنَّها من السنن الإلهية العظيمةِ التي تحكم حياة البشر، فمهما تهيأ للأمة من فرصٍ خارجيةٍ، أو آياتٍ حسيةٍ، فلن يتغيرو اقعُها إلا إذا تغيرما في داخلها من عقائدَ

[1] تفسيرالمنار، محمد رشيد رضا، ج6، ص233.

[2] انظر: تفسيرالطبري، ج14، ص19.

[3] تفسيرالقرطبي، ج1، ص652.

ونياتٍ وسلوكياتٍ، وقد تجلت هذه السنةُ في قصة بني إسرائيلَ، كما وردت في السورة المباركةِ، حيث امتنَّ الله عليهم بنعم عظيمةٍ، و آياتٍ جليلةٍ، فرأوا ما حلَّ بقوم فرعونَ قبل إهلاكهم، ثم رأوا هلاكَهم في اليمِّ، وكان من المفترض أن يكون عندهم الورعُ والتقوى بعد معاينة هذه المنحِ الربانيةِ والفضائلِ الإلهية، لكن نفوسَهم بقيت مريضةً، وتمادت في الاستكباروالتكذيبِ والغفلةِ والعنادِ، على الرغم من أنهم أصبحوا في مأمن ونعمةٍ وسلامٍ بعد هلاك فرعون، فهذا يؤكد على أنَّ التغيرِ الظاهريَّ وحده لا يكفي، ولكن لا بد من التغير الداخليّ والإصلاحِ النفسيّ.

المبحث الثالث

استشراف مستقبل بني إسرائيل في سورة الإسراء

سورة الإسراء من السور المكية، فهي تتناول قضايا عقائديةً وأخلاقيةً وتشريعيةً عميقةً، وقد اختار الباحثُ دراستَها في هذا الموضوع؛ لما ورد فيها من عرضٍ لتاريخ بني إسرائيلَ والحديثِ عن مستقبلهم، فهي تُعرف أيضاً باسم سورة بني إسرائيل؛ لما ورد فيها بشأنهم، وكذلك ورد فيها قصةُ الإسراءِ برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الموجودِ بالأرض المباركة بالقدس، وهي المدينة التي ورد ذكرُها كثيرا في تاريخ بني إسرائيل، وسوف نقسم الحديث في هذا المبحث على مطلبين، وذلك كما يلي:

المطلب الأول: التعريف بسورة الإسراء.

المطلب الثاني: استشراف مستقبل بني إسرائيل في سورة الإسراء.

المطلب الأول:

التعريف بسورة الإسراء

سورة الإسراء من السور المكية، وآياتها مائةٌ وإحدى عشرةَ آيةً، وترتيبُها في المصحف هو السابعَ عشرَ، وسُميت بهذا الاسم؛ لذكرِ حادث الإسراء بها، وتُسمى كذلك سورةَ بني إسرائيلَ؛ لاشتمالها على قصتهم، والحديثِ عن إفسادهم، واستشرافِ مستقبلهم، وقد أُنزلت على قلب النبيّ ﷺ بمكةَ المكرمةِ، باستثناء بضعِ آياتٍ نزلت بالمدينة المنورة، وهذه الآيات هي:

1- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ...﴾الآية [آية60].

2- ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ...﴾ إلى قوله ﴿وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [آية 74: 76].

3- ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ [آية80].

4- ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ...﴾ إلى قوله ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [آية 107: 109][1].

إنَّ هذه السورةَ المباركةَ، قال عنها الصحابيُّ الجليلُ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ ﷺ وعن سورة الكهف، ومريم، وطه، والأنبياءِ: "إنهن من العِتاق الأول، وهن من تِلادي"[2]، ويقصد بالعِتاق الأول، أنهن من أول ما نزل من القرآن، ويقصد بتلادي، أي إنهن من أول ما حفظ من القرآن الكريم[3]، ومن خصوصيات هذه السورةِ أنَّ النبيَّ ﷺ كان يداوم على قراءتِها قبل أن ينام، حيث قال عائشة، رضي الله عنها: "كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر"[4].

موضوعات السورة:

هذه السورة من السور المكية، ومن خصائص القرآن المكيّ التركيزُ على ترسيخ العقيدة، ومحاربةِ الشركِ والبدع، وتقديمِ الأدلة والبراهين على وجودِ الله وتوحيدِه، وبيانِ أصول الأخلاق، ومحاربةِ العادات الجاهلية القبيحة، والتوسعِ في ذكر قصص الأنبياء، وسورةُ الإسراءِ كبقية القرآن المكيّ ورد بها الاهتمامُ بهذه الأبواب، ويمكن تلخيصُ موضوعاتِ هذه السورةِ، كما يلي:

1- افتتاح السورة:

ورد في افتتاح السورة المباركةِ الحديثُ عن حادثة الإسراء، وهي معجزةٌ كبرى لرسول الله ﷺ ومن دلائل نبوتِه، وكان فيها تمحيصٌ لتمييز المؤمنين عن غيرهم.

2- قصة بني إسرائيل:

في الآيةِ الثانيةِ والثالثةِ ورد ذكرُ موسى عليه السلامُ، ثم انتقل الحديثُ من الآيةِ الرابعةِ حتى الثامنةِ إلى إفسادِ بني إسرائيل، والسننِ الإلهيةِ فيما ارتكبوه من فسادٍ وعدوانٍ، وما سيلحق بهم من عقابٍ إلهيّ، وهي الآياتُ التي سنركز عليها في هذا المبحث؛ لأنَّ بها استشرافًا لمستقبل هؤلاء القومِ، ويضافُ إلى هذه الآياتِ ما ورد في آخر السورةِ من الآية (101) حتى الآية (104)، بدايةً من قوله ﷻ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ...﴾الآية[الإسراء101]، إلى قوله ﷻ ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ

---

[1] انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، ج2، ص512، و انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ج3، ص7، و انظر: تفسير القرطبي، ج10، ص203، و انظر تفسير ابن جزي الكلبي، ج1، ص440.

[2] رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر)، ج6، ص82.

[3] انظر: فتح الباري، ابن حجر، ج8، ص388.

[4] رواه الترمذيُّ في سننه، وحسّنه، كتاب الدعوات، باب ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام، ج5، ص475، وصححه الألباني في السراج المنير في ترتيب أحاديث الجامع الصغير، ج2، ص1140.

فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء101]، وهذه الآيةُ مهمةٌ جدًّا في مسألة استشراف بني إسرائيل؛ لذلك سنركز عليها في هذا المبحث، بإذن الله تعالى.

3- عرض لبعض السنن الإلهية في الأمم:

وردتِ الإشارةُ للسنن الإلهيةِ في أثناء هذه السورةِ المباركة، فمنها مثلا قولُه ﷻ ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء77]، ووردت سنتُه تعالى في إهلاك القرى، قال ﷻ ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء16]، وأحوال الأنبياء لم ترد مفصلة في السورة الكريمة، باستثناء قصة موسى عليه السلام وقومِه بني إسرائيل في الآيات التي أشرنا إليها منذ قليل، وما ورد من الإشارة لقوم ثمودَ في بعض آية، حيث قال ﷻ ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء59].

4- الدعوة إلى مكارم الأخلاق:

ورد متناثرا في السورة الكريمة الدعوةُ إلى برّ الوالدين، والوفاءِ بالكيل، وعدمِ التكبر، وصلةِ الرحم، والعطفِ على الفقراء والمساكين، وحفظِ الأنساب بعدم الزنا، وتحريمِ القتل، وغيرِ ذلك من الصفاتِ الحميدةِ، والأخلاقِ الطيبةِ.

5- الدعوة إلى صحيح العقيدة:

ورد في ثنايا السورة الدعوةُ إلى توحيد الله تعالى، وعدمِ الشرك به، والإيمانِ بالقرآن الكريم و أنَّه يهدي للتي هي أقوم، كما ورد فيها الدعوةُ إلى التفكر في خلق الله وتعاقبِ الليل والنهار، والدعوةُ إلى مراعاة يوم الحساب، وتفضيلِ الآخرة على الدنيا، كما ورفيها الأدلةُ على وجود الله ﷻ، والردُّ على المشركين الذين طلبوا أشياءَ تدل على تعنتِهم، حيث طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون له جنةٌ، أويُسقط عليهم السماءَ...إلخ ما يدل على أنَّهم لا يريدون الوصول للحق.

المطلب الثاني:

استشراف مستقبل بني إسرائيل في سورة الإسراء

على الرغم من أنَّ ثَمسورًا أخرى، ورد فيها ذكرُبني إسرائيلَ، وعلى الرغم من أنَّ قصتَهم في سورة الإسراء لم تأتِ إلا في بضعِ آياتٍ، بخلاف السورِ الأخرى التي وردت فيها أخبارُهم مفصلةً، كسورة البقرةِ، وآلِ عمرانَ، والأعرافِ، والقصصِ، لكن تنفرد سورةُ الإسراء بالحديث عما يُفهم منه أنَّه تنبؤٌ بمستقبلِ هؤلاءِ القومِ، وسوف نجمعُ هذه الآياتِ، ثم نعرضُ أقوالَ المفسرين؛ لتحليلها والتنبؤِ بمستقبل بني إسرائيل.

أولًا: الآيات الوارد فيها قصةُ بني إسرائيلَ بسورة الإسراء

وردت قصة بني إسرائيل بسورة الإسراء في موضعين، هما:

الموضع الأول: في بداية السورة ورد ذكرُحادثةِ الإسراء في الآية الأولى، ثم الحديثِ عن موسى وكتابِه في آيتين، ثم وردت قصةُ بني إسرائيل في خمسِ آياتٍ، من الآيةِ الرابعةِ حتى الثامنةِ، كما يلي:

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (4) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (5) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (6) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (7) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (8)﴾[الإسراء4: 8].

الموضع الثاني: قبل نهاية السورة وردت أربعُ آياتٍ تتعلق بموسى وقومِه، وهي كما يلي:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَامُوسَى مَسْحُورًا (101) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَافِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (102) فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا (103) وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (104)﴾[الإسراء101: 104].

ثانيًا: تفسيرُ الآيات وتحليلُها واستشرافُ مستقبل بني إسرائيل منها

1- الإفسادان الكبيران:

جاء التصريح بأنَّ بني إسرائيل سيفسدون في الأرض مرتين، لكنْ وقع الخلافُ بين المفسرينَ وأصحابِ التواريخ والسيرِ في تعيين هذين الإفسادين، قال الله ﷻ ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾[الإسراء77]، قال قتادةُ عن هذين الإفسادين: " أما المرة الأولى، فسلط الله عليهم جالوتَ حتى بَعث طالوتَ، ومعه داودُ، فقتله داودُ، ثم رُدَّتِ الكرةُ لبني إسرائيلَ، ثم جاء وعدُ الآخرةِ من المرتين (لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ)، قال: "ليقبحوا وجوهكم، (وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا)، قال: (ليدمروا ما علوا تدميرا)، قال: (هو بختنصر بُعِث عليهم في المرة الآخرة) ثم قال: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾، فعادوا؛ فبعث الله عليهم محمدا ﷺ فهم يعطون الجزية عن يد، وهم صاغرون"[1]، وتفسيرُ قتادةَ – هنا – على أنَّ المرةَ الأولى بتسليط جالوتَ، والثانيةَ بتسليط بختنصر، وروى الطبريُّ عن الربيع أنَّه ذكر الإفسادين المذكورين في هذه الآيات، وأشار إلى ثلاثِ جولاتٍ "كان الفساد الأول، فبعث الله عليهم عدوا فاستباحوا الديار، واستنكحوا النساء، واستعبدوا الولدان، وخربوا المسجد، فغبروا زمانا، ثم بعث الله فيهم نبيًّا، وعاد أمرهم إلى أحسنِ ما كان، ثم كان الفساد الثاني بقتلهم الأنبياءَ، حتى قتلوا يحيى بنَ زكريا، فبعث الله عليهم بخت نصر، فقتل من قتل منهم، وسبى من سبى، وخرب المسجد؛ فكان بخت نصر الفسادَ الثاني"[2]، وقال الربيعُ عن الجولة الثالثة: "فبعث الله لهم عزيرا، وقد كان عَلِمَ التوراةَ، وحفظها في صدره، وكتبها لهم، فقام بها ذلك القرن، ولبثوا فنسوا، ومات عزير، وكانت أحداث، ونسوا العهد وبخلوا ربهم... فبعث الله عليهم المجوس الثالثة أربابا، فلم يزالوا كذلك والمجوس على رقابهم، وهم يقولون: يا ليتنا أدركنا هذا النبيَّ الذي نجده مكتوبا عندنا، عسى الله أن يفكنا به من المجوس والعذاب الهون"[3].

لقد ذكر البغويُّ بعضَ الأقوالِ، منها قولُ قتادةَ الذي ذكرناه -منذ قليل-، ومنها أنَّه "كانت الوقعةُ الأولى بختنصرَ وجنودَه، والأخرى خردوشَ وجنودَه، وكانت أعظمَ

---

[1] رواه عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره، ج2، ص290.

[2] تفسير الطبري، ج10، ص459.

[3] تفسير الطبري، ج10، ص459.

الوقعتين، فلم تقم لهم بعد ذلك رايةٌ، وانتقل الملك بالشام ونواحيها إلى الروم اليونانية"[1]، وروى الطبريُّ عن حذيفةَ يرفعه للنبي ﷺ أنَّه قال: "إن بني إسرائيل لما اعتدوا وعلوا، وقتلوا الأنبياء، بعث الله عليهم ملكَ فارس بختنصرَ، وكان الله ملكه سبعَ مئةِ سنةٍ، فسار إليهم؛ حتى دخل بيت المقدس، فحاصرها وفتحها، وقتل على دم زكريا سبعين ألفا، ثم سبى أهلَها وبني الأنبياءِ، وسلب حُليَّ بيت المقدس، فأقام بنو إسرائيل في يديه مئةَ سنةٍ، تعذبهم المجوسُ، و أبناءُ المجوس، فيهم الأنبياءُ و أبناءُ الأنبياءِ، ثم إن الله رحمهم، فأوحى إلى ملك من ملوك فارسَ يقال له كورسُ، وكان مؤمنا، أن سر إلى بقايا بني إسرائيل حتى تستنقذَهم، فسار كورسُ ببني إسرائيل وحُليّ بيت المقدس؛ حتى رده إليه، فأقام بنو إسرائيل مطيعين لله مئةَ سنةٍ، ثم إنهم عادوا في المعاصي، فسلط الله عليهم إبطيانحوس، فغزا بأبناء من غزا مع بختنصر، فغزا بني إسرائيل حتى أتاهم بيت المقدس، فسبى أهلَها، وأحرق بيت المقدس، وقال لهم: يا بني إسرائيل إن عدتم في المعاصي؛ عدنا عليكم بالسباء، فعادوا في المعاصي، فسير الله عليهم السباءَ، الثالث ملكُ رومية، يقال له قاقس بن إسبايوس، فغزاهم في البر والبحر، فسباهم وسبى حليَّ بيتِ المقدس، وأحرق بيت المقدس بالنيران"[2]، وقد ذكرتُ الحديث هنا، من باب الاستئناس فقط، ولا نقطعُ بنسبته لرسول الله ﷺ؛ فإن في سنده مقالًا، كما ذكر بعض العلماء[3].

إذن، (وَعْدُ الْآخِرَةِ)، أي المرةُ الآخرةُ، وهو الإفسادُ الثاني، وقوله تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ فإنَّ جواب (فإذا) محذوف، وتقديرُه: بعثنا، أي: فإذا جاء وعدُ الآخرةِ؛ بعثنا عليكم عبادا لنا ليسوءوا وجوهكم..إلخ[4]، ومعنى(ليسوءوا وجوهَكم)، أي: "تحزن

---

[1] تفسير البغوي، ج5، ص76.

[2] تفسير الطبري، ج10، ص459.

[3] ضعَّفه الحافظُ ابنُ كثيرٍ، بل إنه حكم عليه بالوضع، وتعجب من ذكر الطبري له؛ فقال: "وهو حديث موضوع لا محالة، لا يستريب في ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث، والعجب كل العجب كيف راج عليه مع إمامته وجلالة قدره؟! وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة أبو الحجاج المزي، رحمه الله، بأنه موضوع مكذوب، وكتب ذلك على حاشية الكتاب" تفسير ابن كثير، ج5، ص47.

[4] انظر: التفسير الوسيط، الواحدي، ج13، ص263.

وجوهُكم، وسوءُ الوجه بإدخال الغم والحزن"[1]، ووعد الآخرة المقصود به وعد عقوبة المرة الآخرة من الإفسادين[2].

إذن، خلاصةُ القولِ، أنَّ ثمَّ إفسادين وقعا من بني إسرائيل، لما وقع الإفسادُ الأولُ؛ عاقبهم الله ببعث عباد له سبحانه؛ فهزموهم وأذلوهم، ثم ردَّ الله الكَرَّة لبني إسرائيل، ثم حدث الإفسادُ الثاني، ويمكن تلخيصُ ما ورد في تعيين هذين الإفسادين، كما يلي:

الإفساد الأول: سلط الله عليهم جالوتَ، وبعث الله طالوتَ وداودَ، فأنقذا بني إسرائيل، وهذا قولُ قتادةَ والربيعِ وغيرِهما، وقيل: إنه كان بسبب قتل زكريا، فأرسل الله عليهم بختنصر؛ فأذاقهم العذاب، والقول الثاني هو الوارد في أثر حذيفة المرفوع، وذكره البغوي.

الإفساد الثاني: بعث الله عليهم بختنصرَ، وكان ذلك بسبب قتل يحيى، وقيل: بعث الله عليهم أبطيانحوس، وقيل: خردوش وجنودُه، وذكر ابن عساكر أنَّ المرة الأولى كانت عند مقتل زكريا، والثانيةَ عند مقتل يحيى[3]، وذكر ابن الأثير أنَّ "الوقعةَ الأولى بختنصرُ وجنودُه، ثم ردَّ الله سبحانه لهم الكرَّةَ، ثم كانت الوقعةُ الأخيرةُ جودرسَ وجنودَه، وكانت أعظمَ الوقعتين"[4].

ونحن - هنا – لانقطع إلا بما ورد صريحا في كتاب الله، أو في السنةِ الصحيحةِ، فنجزم بوجود إفسادين من بني إسرائيل، ونقطع بأنَّ ما وقع لهم من العذاب والنكال؛ كان بسبب فسادِهم وعدوانهم، فإن تعيينَ أسماءِ الملوكِ والمدنِ الواردةِ في الروايات، وتواريخِ هذه الأحداث، كلُّ ذلك "لا يُعلَم إلا بالخبر عن رسول اللَّه، وليس في الآية سوى أنه بَعَثَ عليهم (عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ)؛ فلا يُزاد على ذلك إلا بالخبر، سوى أنَّه ذكر هذا لنا، وفيه وجوه من الحكمة:

---

[1] تفسير البغوي، ج5، ص80.

[2] انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان، ج7، ص358.

[3] انظر: تاريخ دمشق، ج64، ص211.

[4] الكامل في التاريخ، ج1، ص272.

أحدها: ما ذكرنا من إثبات نبوةِ مُحَمَّدٍ ومن صدق رسولهم؛ حيث حذرهم العقوبة بعصيانهم، فكان كما قال، وفيه تحذيرُنا عن مثل صنيعِهم؛ لأنَّهم ليسوا بذلك أَوْلى من غيرهم"[1].

2- وعدُ الآخرة ومجيئُهم لفيفا:

بعد أنْ وقفنا مع إفسادي بني إسرائيل، ننتقل للحديث عن هذا الموضعِ الموجودِ قرب نهاية السورة المباركة، حيث قال الله ﷻ ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾[الإسراء104]، وفي تفسير هذه الآية، قال الطبريُّ: "فإذا جاءتِ الساعةُ، وهي وعدُ الآخرة؛ جئنا بكم لفيفا: يقول: حشرناكم من قبوركم إلى موقف القيامة لفيفًا: أي مختلطين، قد التفَّ بعضُكم على بعض، لا تتعارفون، ولا ينحاز أحدٌ منكم إلى قبيلته وحيِّه، من قولك: لففت الجيوش: إذا ضربتُ بعضَها ببعض، فاختلط الجميع، وكذلك كل شيء خلط بشيء؛ فقد لف به"[2]، فوعد الآخرة يُقصَد به يومُ القيامة، بأنه البعث بعد الموت، واختاره الواحديُّ[3]، و ابنُ عطية[4]، والرازيُّ[5]، والنسفيُّ[6]، ومحمدٌ أبو زهرة[7]، ووهبةُ الزحيليُّ[8]، ومحمدُ سيد طنطاوي[9]، وإن كان البغويُّ ذكر عن الكلبيِّ أنَّه يراد بوعد الآخرة نزولُ عيسى من السماء[10]، واختاره ابنُ كثير[11]، ومكيُّ بنُ أبي طالب[12]، والقرطبيُّ ذكر القولين، ولم يرجِّح أحدَهما[13].

---

(1) تفسير الماتريدي، ج7، ص9.

(2) تفسير الطبري، ج17، ص572.

(3) انظر: التفسير الوسيط، ج3، ص131.

(4) انظر: المحرر الوجيز، ج3، ص490.

(5) انظر: مفاتيح الغيب، ج21، ص416.

(6) انظر: تفسير النسفي، ج2، ص281.

(7) انظر: زهرة التفاسير، ج8، ص4472.

(8) انظر: التفسير المنير، ج15، ص182.

(9) انظر: التفسير الوسيط، ج8، ص447.

(10) انظر: تفسير البغوي، ج5، ص135.

(11) انظر: تفسير ابن كثير، ج3، ص492.

(12) انظر: الهداية في بلوغ النهاية، ج4، ص2593.

(13) انظر: تفسير القرطبي، ج10، ص338.

لقد جمع أبو الحسنِ الماورديُّ الأقوالَ في هذه المسألة، فقال: "فيه ثلاثةُ أقاويلَ: أحدُها: وعدُ الإقامةِ، وهي الكَرَّة الآخرةُ، قاله مقاتل، الثاني: وعدُ الكرةِ الآخرةِ في تحويلهم إلى أرض الشام، الثالث: نزول عيسى عليه السلام من السماء"[1]، ورأيُ الماورديِّ مهمٌّ في هذا السياق، حيث إنه من المتقدمين (توفي سنة450 هـ)، لأنَّ معظم التفاسير القديمة لم تذهب إلى موضوع اجتماعِ اليهودِ في بلاد الشام؛ لأنَّه لم يكن أحدٌ يأتي في خلده أنَّ اليهود ستكون لهم الغلبة على المسلمين، وتكونُ لهم دولةٌ حاكمةٌ في فلسطين؛ لذلك ذهب الشيخُ الشعراويُّ، رحمه الله، إلى تفسير الآيةِ بأنَّها إشارةٌ إلى تجميع اليهود في فلسطين بوعد بلفور، "وقد يرى البعض أنَّ في قيام دولة إسرائيل، وتجمّعِ اليهود بها نكايةً في الإسلام والمسلمين، ولكنَّ الحقيقةَ غيرُهذا، فالحقُّ سبحانه وتعالى حين يريد أن نضربهم الضربةَ الإيمانيةَ من جنود موصوفين بأنَّهم: ﴿عِبَاداً لَّنَآ﴾"[2]، والشعراويُّ لم يكتفِ بتفسير تجميعِ اليهود بأنه ما حدث في قيام دولة إسرائيل، بل إنه فسر الآياتِ الأولى في السورة المباركة التي أجمع المفسرون القدامى على أنَّ البعث حدث فعلا لبختنصر أو غيرِه، كما ذكرتُ – منذ قليل – لكنه فسر أن البعث سيكون للمسلمين في آخر الزمان، ويؤكد الشعراوي فكرتَه؛ فيقول: "إذن: ففكرة التجمُّعِ والوطنِ القوميِّ التي نادى بها بلفور وأيَّدتْها الدولُ الكبرى المساندةُ لليهود والمعاديةُ للإسلام، هذه الفكرة في الحقيقة تمثل خدمةً لقضية الإسلام، وتُسهّل علينا تتبعَهم وتُمكّننا من القضاء عليهم"[3]، وقد أكد الشعراوي هذا المعنى بأنَّ اليهود الآن في مرحلة ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ فقوتهم الموجودةُ الآن هي بموعود الله؛ لأن الكَرَّة عادت لهم، وستنتهي عندما يكون المسلمون ﴿عِبَادًا لَنَا﴾ [4].

3- التعليق على هذه الآيات الكريمة:

في تفسير الموضع الأول الخاصِّ بإفسادي بني إسرائيلَ؛ تبين من استعراض التفاسير أنَّ ثَم إجماعًا بين المفسرين القدامى، على حدوث الإفسادين في الماضي، وكانا قبل بعثة النبي محمدٍ ﷺ، مع اختلافهم في تعيين الأشخاصِ والأزمنةِ لهذين الإفسادين،

---

[1] تفسير الماوردي، ج3، ص278.

[2] تفسير الشعراوي، ج14، ص8368، وسياق الكلام يقتضي، أن يكون (بأنهم عبادٌ لنا)، على أنه خبر أن، لكن السبب أنه استحضر نصَّ الآية الكريمة.

[3] تفسير الشعراوي، ج14، ص8368.

[4] انظر: تفسير الشعراوي، ج5، ص3053.

وذهب جماهيرُ المفسرين المعاصرين إلى هذا الرأيَ، وذهب بعضُهم إلى أنَّ إفساد بني إسرائيل المذكورَفي الآيات سيأتي في آخر الزمان، وسينتصر عليهم المسلمون بوعد الله ﷻ في الآيات الكريمة، وأما في تفسير الموضوع الثاني الخاصِّ بمجيئهم لفيفًا، فقد ذهب جمهور المفسرين إلى أنَّ المقصود بذلك سيكون يومَ القيامة، وبعضُهم ذهب إلى أنَّه يكون وقتَ نزول عيسى عليه السلام، وذهب بعضُ المفسرينَ إلى حملِ الآيةِ على قيامِ دولةِ إسرائيلَ، وتجميعِ اليهود في مكان واحد؛ وذلك تمهيدٌ لغلبة المسلمين عليهم.

اللافت في الأمر أنَّ القول بأنَّ الآيات تتحدث عن المستقبل القادم، هو رأيُ العلماء المعاصرين، والسببُ الواضحُ في ذلك هو أنَّ العلماء قديما لم يرد في أذهانهم، لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ، أنَّ اليهود سيكون لهم دولةٌ في فلسطينَ، وستكون لهم قوةٌ وغلبةٌ، كما هو الو اقعُ والمشاهَدُ الآن، والتفسيرُ المعاصرُ لا يمكن قبولُه، أو ردُّه إلا بفحص أدلتِه ومناقشتِه، فليس لدينا مانعٌ من قبول هذا التفسيرِ بناءً على أدلةٍ قويةٍ مقنعةٍ، ولن يمنعنا من ذلك هذا الاتفاقُ الكاملُ بين المفسرينَ القدامى على حمل الآياتِ على الأحداث قبل البعثةِ المحمديةِ، فإنَّ القرآنَ الكريمَ حمَّالٌ ذو وجوهٍ، ونصوصَه ميدانٌ واسعٌ ينهل منه كلُّ جيلٍ ما يوفقه الله إليه، وهذا من عظمة القرآن وجلالِه وإعجازِه، وإن كانت بعضُ البحوثِ والدراساتِ الحديثةِ لا نلتفت إليها، ككتاب (زوال إسرائيل 2022م نبوءةٌ قرآنيةٌ أم صدفٌ رقميةٌ) للأستاذ بسام جرار، وبيقين؛ تبين عدمُ تحققِ حدسِهِ، لكنَّ ردَّنا الأكبرَعلى منهج الكتابِ، أنه اعتمد في توقعِهِ على ما يعرف ب (الإعجاز الرقمي) و(حساب الجُمَّل)، وهو منهجٌ خطيرٌ، ومنزلقٌ عميقٌ، لا يُعوَّلُ على كثير من نتائجه، وقد جاء هذا الكتابُ في فصلين، الأولُ جعله للتفسير، واختار فيه أنَّ الإفسادَ الأولَ مضى قديمًا[1]، ثم جعل الفصلَ الثانيَ للحسابات الرقميةِ وحسابِ الجمَّل، ووصل إلى هذه النتيجةِ بتحديد موعدِ نهايةِ دولةِ إسرائيلَ[2].

من المعاصرين كذلك ما ذهب إليه الشيخُ أسعدُ التميميُّ، حيث رأى أنَّ زمنَ الإفسادين هو بعد نزولِ آياتِ سورةِ الإسراءِ؛ لأنَّ (لَتُفْسِدُنَّ) اللامُ فيه تفيد التوكيدَ والاستقبالَ، ولأنَّ بعثَ العبادِ لا ينطبق على البابليين أو الرومانِ، لكنه يصدق على المسلمين، وأنَّ التدمير الأولَ كان بإخراجهم من جزيرة العرب، والثانيَ سيكون بغلبةِ

[1] انظر: زوال إسرائيل 2022 نبوءة قرآنية أم صدف قرآنية، ص17.

[2] انظر: زوال إسرائيل 2022 نبوءة قرآنية أم صدف قرآنية، ص51.

المسلمين بعد أنْ يأتوا لفيفًا، واستشهد بقول رسولِ الله ﷺ: "لا تقومُ الساعةُ؛ حتى يقاتلَ المسلمون اليهودَ، فيقتلَهم المسلمون؛ حتى يختبئَ اليهوديُّ من وراء الحجرِ والشجرِ، فيقولَ الحجرُ، أو الشجرُ: يا مسلمُ يا عبدَ اللهِ، هذا يهوديٌّ خلفي، فتعالَ فاقتله، إلا الغرقدَ، فإنه من شجر اليهود"[1][2]، ويلتمس الدكتور صلاح الخالديُّ العذرَ للمفسرين القدامى، فبعد أن أشار إلى أقوالهم في مُضيِّ الإفسادين قديما؛ قال عن هؤلاء المفسرين: "كانوا يعيشون في نظام إسلاميٍّ قائمٍ، وقد نظروا في اليهود، فإذا هم مجموعاتٌ من الأفراد المشتتين الأذلاءِ الضعافِ، لا يُتَصور أن يكون لهم كيانٌ في المستقبل، ولا أن يقع منهم علوٌّ و إفسادٌ في الأرض؛ ولهذا توجه هؤلاء إلى التاريخِ اليهوديِّ القديمِ، فاستقرؤوه، وبحثوا فيه عن الإفسادين المذكورين، فقالوا ما قالوا"[3]، ثم يذهبُ إلى القول بأنَّ الإفساد الأول كان بالمدينة في عهد رسول الله ﷺ؛ لأن (عبادا)، و(لنا)، و(أولي بأس شديد) لا تنطبق إلا على قوم مؤمنين، وهم أصحابُ رسولِ الله ﷺ، وأما الإفسادُ الثاني فهو ما نعيش فيه من تسلط اليهود وعلوّهم وفسادِهم[4].

ويذهب الدكتور عبدُ الكريم الخطيبُ إلى أنَّ الكتاب في قوله ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾[الإسراء4]، يُقصَد به اللوحُ المحفوظُ، وليس التوراةُ، كما ذكر جمهورُ المفسرين، ثم ذكر أنَّ الإفساد الأولَ وقع منهم، وسلط الله عليهم بختنصرَ، ويجيب عن الإشكال في قول الله (عِبَادًا لَنَا)، وبختنصرُ لم يكن مؤمنًا، بأنَّ لفظَ العبادِ عامةٌ، واستدلَّ بقوله تعالى ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمنِ عَبْداً﴾[مريم93]، وقوله لإبليس ﴿ إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ. إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ﴾[الحجر42]، ويذهبُ إلى أنَّ الإفسادَ الثانيَ لم يقع حتى نزولِ القرآنِ الكريمِ، واستدلَّ بصيغ التعبيرِ المختلفةِ عن المرتين، "وعند النظر في الآيتين الكريمتين؛ نجد أنَّ النظمَ القرآنيَّ قد خالف بينهما؛ فجعل ما وقع منهما عند نزول القرآن معبّرا عنه بلفظ الماضي(بعثنا، جاسوا)، على حين جعل المرّةَ التي لم تقع بلفظ المستقبل: (لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا)، ولو تساوتِ المرتان، في الوقوع،

---

[1] رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ج4، ص2231..

[2] انظر: زوال إسرائيل حتمية قرآنية، سعد التميمي، ص18: 22..

[3] الشخصية اليهودية من خلال القرآن الكريم، د. صلاح الخالدي، ص330..

[4] انظر: الشخصية اليهودية من خلال القرآن الكريم، د. صلاح الخالدي، ص333: 341..

أو عدمِ الوقوع، عند نزول القرآن؛ لم يكن لاختلاف النظم فيهما سببٌ ظاهرٌ، وهذا أبعدُ ما يكون عن بلاغة القرآن وإعجازِه"[1]، ثم يذهب إلى أنَّ الإفساد الثانيَ لما يقعْ، وعند وقوعِه؛ ستكون الغلبة للمسلمين على اليهود، واستدل بكلمة (المسجد) المذكورةِ في قوله ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، والمسجدُ لم يأت ذكرٌ له في الإفساد الأول، "ودخولُ المسلمينَ المسجدَ الأقصى أولَ مرة، كان في خلافة عمرَ بنِ الخطاب ﷺ وقد ظل في أيديهم إلى أنْ دخله بنو إسرائيلَ في هذه الأيام، من عام ألفٍ وثلاثمائةٍ وسبعةٍ وثمانين للهجرة، نعم خرج المسجدُ الأقصى من يد المسلمين إلى يد الصليبيين، ثم أعيد إليهم مرة أخرى، على يد صلاحِ الدين، ولم يكن لبنى إسرائيلَ حسابٌ أو تقديرٌ

في هذا الأمر"[2]، ويرى الشيخ عبدُ المعز أنَّ الإفسادَ الأولَ كان في عهد النبي ﷺ، والثانيَ هو التمكينُ المنتظرُ والغلبةُ الكاملةُ للمسلمين[3].

بناءً على ما سبق، نخلص إلى أن الآياتِ الكريمةَ ليست صريحةُ في تقرير معنىً نقطع به، ولكنها تحتمل هذه الأوجهَ، فمن اختار قولَ جماهيرِ المفسرين بانتهاء الإفسادين، وحملَ مجيءَ بني إسرائيل لفيفًا على مجيئهم يوم القيامة؛ فلا تثريب عليه، فقد اتبع جمًّا غفيرا من المفسرين وأهلِ التواريخِ والسير، ومن ترجَّح عنده القولُ بأنَّ الإفسادين باقيان، أحدَهما أوكليهما، وأنَّ الله سيبعث على اليهود في المستقبل القادمِ مَنْ يكسر شوكتَهم، ويقضي على قوتهم، وأنَّ هؤلاء المبعوثين هم المسلمون الذين يمكنهم الله من دخول المسجد الأقصى، وقطعِ دابرِ اليهود؛ فإن هذا التأويل لا يردُّه ظاهرُ النصوص، ومن قال به؛ لترجُّحِ أدلتِه عنده؛ فلا تثريبَ عليه.

والباحثُ يرى أنَّ القولَ الثانيَ باستشرافِ مستقبلِ المسلمينَ واليهودِ من خلال هذه الآياتِ الكريمةِ قولٌ معتبرٌ، وخاصة أنَّ النصوص لا ترفضُه، هذا من ناحية، ومن أخرى؛ فإن الاستئناس بأحداث التاريخِ في العصر الحديث، والنظرَ إلى التطورِ الكبيرِ في تاريخ بني إسرائيلَ في القرن الماضي، بجمع شتاتهم من كل مكان، و إقامةِ دولةٍ خاصةٍ بهم في فلسطين، وعلوّهم في الأرض، وفسادِهم، وكثرةِ أموالِهم، وهذه الأمورُورد ذكرُها في قوله تعالى ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ

---

[1] التفسير القرآن للقرآن د. عبد الكريم الخطيب، ج8، ص449..

[2] التفسير القرآن للقرآن د. عبد الكريم الخطيب، ج8، ص451..

[3] انظر: سورة الإسراء تقص نهاية بني إسرائيل، عبد المعز عبد السنار، بحث منشور، مجلة الأزهر، المجلد28، غرة جمادى الآخرة ، 1376هـ/2يناير1957م، ص689.

نَفِيرًا﴾[الإسراء6]، كلُّ ذلك يجعلنا نرجّحُ أنَّ الآياتِ يمكن حملُها على استشرافِ المستقبلِ للعلاقة بين المسلمين واليهود، ويَرِد إشكالٌ يطرحُه أصحابُ القولِ الأولِ؛ حيث يرون أنَّ القول باستشراف المستقبل وأنَّ المسلمين ستكون لهم الغلبةُ على اليهود؛ بناءً على فهم هذه الآيات؛ فيقولون: يترتب على هذا الفهمِ أن تكون الأمةُ اتكاليةً، تنتظرُ خلاصَها ونصرَها من عند الله، بلا عملٍ ولا استعدادٍ، وهذا فهمٌ خاطئٌ؛ فإنَّ القولَ بأنَّ الآياتِ تستشرفُ مستقبلَ العلاقةِ بين المسلمينَ واليهودِ، يترتب عليه القولُ بأنَّ الآياتِ نفسَها جاء فيها صريحًا أنَّ الله سيجعل الغلبةَ على اليهود، لكنْ على يد مَنْ جاء وصفُهم في الآيات بقوله ﷻ ﴿عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾، فهؤلاء الذين ينصرُهم الله، هم عبادٌ لله، يعني فيهم صفاتُ عبادِ الله من الإيمان، والتقوى، والعملِ الصالحِ، وكذلك فإنهم أولو بأسٍ شديدٍ، يعني لديهم الاستعدادُ بالقوة في جميع مجالاتها: العسكريةِ، والسياسةِ، والاقتصاديةِ، والاجتماعيةِ، فأمة الكسالى والمنفلتين والفساقِ، لا مجالَ لهم في هذا النصر، وهذا يتو افق مع نصوص القرآن الكريم، قال الله ﷻ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[النور55]، وقال ﷻ ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[محمد7].

و إننا إذ نختارهذا القولَ؛ فإننا نبرأُ إلى الله، ونستغفرُه من كلّ تقوُّل على كلامه بغيرعلم، ونقول: لا يمكن لفريق أن يقطع بما ذهب إليه من تأويل، لكنْ يترجحُ قولٌ على قولٍ؛ بناءً على قوة الأدلة التي يعتمد عليه أصحابُ كلّ قولٍ، والناسُ في ذلك متفاوتون، فما يراه بعضُهم دليلًا قويًّا، قد يراه الآخرُ ضعيفًا، والله تعالى أعلى وأعلم.

الخاتمة

أولًا: النتائج:

1. ينتسب بنو إسرائيل إلى نبيِّ الله يعقوبَ، ويُسمَّى إسرائيلَ، وكان يقيم بأرضِ كنعانَ ببلاد الشام.
2. كان أولاد يعقوبَ ثلاثةَ عشرَ، منهم بنتٌ، اسمها دينةُ، وهؤلاء من زوجتين أختين، هما ليا، وراحيلُ وهي والدةُ يوسفَ عليه السلام، وأخيه بنيامينَ.
3. بدأ أولُ مجتمعٍ لبني إسرائيلَ في مصرَ مع قدوم يوسفَ عليه السلام، حيث استدعى والدَه يعقوبَ عليه السلام وأهلَه جميعا، وعاشوا في مصر بضعةَ قرونٍ، حتى بعث الله موسى عليه السلام، وهو من بني إسرائيل.
4. عاش بنو إسرائيل في مصرَ مستضعفين، وتسلط عليهم فرعونُ وقومُه، حتى بعث الله موسى برسالته إلى فرعونَ وملئِه، فكذبوا وعاندوا؛ فأهلكهم الله غرقًا في اليمِّ، وأورث الأرضَ بني إسرائيل، وغادروا مصرَ إلى بلادهم في الشام؛ لتبدأ مرحلةٌ جديدةٌ لهؤلاء القوم.
5. بعد نِعمِ اللهِ وتمكينِه لبني إسرائيل ومشاهدتِهم الآياتِ والمعجزاتِ؛ إذا بهم ينقلبون على أعقابهم، ويطلبون عبادة آلهةٍ غيرِالله تعالى، فعبد بعضُهم عجلا ذهبيًّا صنعه السامريُّ، وخالفوا أوامر الله في الاعتداء بالصيد يوم السبت، فعاقبهم الله، وأمرهم بقتل بعضِهم، وكتب عليهم التيهَ أربعين سنةً.
6. بعد موت موسى وهارونَ عليهما السلامُ، تولَّى أمرَبني إسرائيلَ يوشعُ بنُ نونَ، وفتح بيتَ المقدس، وتولى بعد ذلك كثيرٌمن الملوكِ والأنبياءِ، حيث كان يُبعث نبيٌّ من سبط، ويُجعل الملكُ من سبطٍ آخرَ، وكان من هؤلاء سليمانُ وداودُ عليهما السلامُ، ثم المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ عليه السلام، وقد انقسمت مملكةُ إسرائيلَ قسمين: مملكةُ بني إسرائيل الشماليةُ، وعاصمتُها نابلس، وقضى عليها الآشوريون، وأما الجنوبيةُ فهي (يهوذا)

وكانت في نسلِ سليمانَ عليه السلام، وسلط الله عليهم بختنصرَ، ثم بعد مدة عاشوا في ظل اليونانِ ثم الرومانِ، حتى بزغ فجرُ الإسلام.

7. السننُ الإلهيةُ هي عبارةٌ عن قوانينَ ربانيةٍ ثابتةٍ، تحكم حركةَ المجتمعات وسيرَ التاريخ، وتكشف عن النظام المحكم الذي وضعه الله تعالى لتدبير شؤون الخلق.
8. السنن الإلهية توصف بالاطراد؛ فهي لا تتخلف أبدًا، فإذا تحققت شروطُها، وانتفت موانعُها؛ فهي واقعةٌ، لا محالة.
9. من الحِكم الملازمة للسنن أنها تأتي للعظة والاعتبار؛ فيلزم من ذلك أنَّها ثابتةٌ لا تتغير بتغير الأمكنةِ والأزمنةِ.
10. السنن الإلهية ربانيةُ المصدر؛ لذلك يتساوى جميعُ الخلق في الوقوع تحت نواميسِها، فهي عامة، لا تحابي أحدًا، ولا تجامله.
11. تتصف السننُ الإلهيةُ بالحكمة التامةِ والعدالةِ المطلقةِ، فالله تعالى الخالقُ العظيمُ منزهٌ عن الظلم والعبث.
12. السنن الإلهية لها دورٌ عظيمٌ في فهم الواقعِ الذي نعيشُ فيه، وتفسيرِ أحداثِه، والأهمُّ من ذلك أنَّها تجعلُنا قادرين على استشراف المستقبل، والاستعدادِ له، والتخطيطِ لما يمكن أن نقوم به في المهامِ الجسامِ التي ننتظر حدوثَها.
13. من أعظم السنن الإلهية سنةُ التغيير، وهي أنَّ الله تعالى لا يُصلح أحوالَ الأمة؛ إلا إذا بدأت هي بصلاح أمرِها وتعديلِ أحوالها.
14. من سنن الله تعالى الأخذُ بالأسباب مع التوكل على الله تعالى.
15. من السنن الإلهية سنةُ التداولِ الحضاريّ، فإن القوة والسطوةَ والتمكنَ والعلوَّ في الأرض، كلُّ ذلك ليس حكرًا على أمة من الأمم، لكن قضى الله في هذه السنة أنَّ الأيام دولٌ، وتنتقل القوة؛ بناء على الأخذ بأسباب القوة، والسعي في تحصيلها.
16. الغيب المطلق هو كلُّ ما استأثر الله تعالى وحده بعلمه، ولم يُطلع عليه أحدًا من خلقه، ولا سبيل لمعرفته عن طريق العقل، أو طريقِ الوحي، كموعد قيام الساعة، وأما الغيبُ النسبيُّ فهو الغيب الذي يعلمه بعضُ

الناس، ويخفى عن الآخرين، فهو نسبيٌّ؛ لأنَّه غيب بالنسبة لبعض الناس، وليس غيبًا للآخرين.

17. استشراف المستقبل يتعلق بالغيب النسبيِّ وليس المطلق.
18. سورة الإسراء من السور المكية إلا بضعَ آيات، وهي من السبع الطوال التي ورد فضلها في بعض الآثار.
19. اشتملت سورةُ الأعراف على قصة بني إسرائيلَ في مرحلتيها: مرحلةِ الاستضعاف مع فرعونَ وقومِه، ثم مرحلةِ التمكين بعد هلاك فرعونَ، وما حدث لبني إسرائيل من انتكاسةٍ إيمانيةٍ وعدوان.
20. من أعظم السنن الإلهية الواردةِ في سورة الأعراف هي سنةُ استخلافِ المتقين في الأرض، وقد حدثت مع بني إسرائيل بعد هلاكِ فرعونَ.
21. سنة الابتلاء والتمحيص ظهرت جليًّا مع موسى وقومِه؛ حيث ارتكب بنو إسرائيل مخالفاتٍ عظيمةً، وصلت مع بعضهم إلى الكفر بالله، وكان في ذلك تمحيصٌ وتمييزٌ.
22. في سورة الأعراف وردتِ السنةُ الربانيةُ في استدراج الظالمين، فإن الله يملي للظالم، حتى إذا أخذه؛ لم يفلتْه، وقد حدث هذا جليًّا مع المعتدين الظالمين من بني إسرائيل.
23. تغيير الأمم لا يكون إلا بالتغيير من داخلها، فإن الله لا يغير الناس؛ حتى يبدأوا بإصلاح نفوسِهم وسرائرِهم، وهذه سنةٌ إلهيةٌ واضحةٌ فيما وقع لبني إسرائيل.
24. سورة الإسراء، وتُسمى سورةَ بني إسرائيل، وهي سورةٌ مكيةٌ إلا بضعَ آياتٍ؛ فهي مدنيةٌ، وكان رسول الله ﷺ يحرص على قراءتها قبل النوم.
25. وردت قصة بني إسرائيل بسورة الإسراء في موضعين: الموضع الأول فيه الحديث عن إفسادي بني إسرائيل في الأرض، والموضع الثاني عن مجيئهم لفيفًا.
26. اتفق المفسرون القدامى وكثيرٌ من المحدثين على أنَّ الإفسادين وقعا من بني إسرائيل قبل بعثة النبي محمدٍ ﷺ، مع اختلافهم في تعيين الأشخاص والأوقات.

27. ذهب بعضُ العلماء في العصر الحديث إلى أنَّ إفسادَ بني إسرائيل لما يقعْ بعد، وما ورد في السورة هو استشرافٌ لمستقبل اليهود مع المسلمين، مع بعض الخلاف عند هؤلاء العلماء، فبعضُهم يرى أنَّ الإفسادين سيقعان في هذا الزمن، وبعضُهم يرى أنَّ الأول وقع في عهد النبي محمد ﷺ، وعلى إثره تم إجلاءُ اليهود من المدينة المنورة.
28. الحدث المتعلق بمجيء بني إسرائيل لفيفًا، فقد ذهب جمهور المفسرين إلى أنَّ ذلك يقع يومَ القيامة، وبعضُهم ذهب إلى وقوعِه عند نزول المسيح، وذهب بعضُ العلماء المعاصرين إلى أنَّ في الآية استشرافًا للمستقبل، وهو الواقع الذي يحدث الآن، حيث يجتمع اليهود من كل مكان، ويسكنون في فلسطين، ويرى هؤلاء العلماء أنَّ هذا الاجتماع، هو دليلٌ على نهاية دولةِ إسرائيلَ على أيدي المسلمين.

ثانيًا: التوصيات:

1. ضرورةُ نشرِ الوعي بدراسة السنن الإلهية الثابتة في الكتاب والسنة.
2. إدراجُ موضوعِ السننِ الإلهية في المقرراتِ الدراسيةِ لتربية النشءِ على قوانينها.
3. التزامُ القادةِ وصناعِ القرار بفهم السنن الإلهية؛ فهي من أعظم الوسائل المعينةِ على التخطيط الجيد.
4. ضرورةُ الاهتمام بدراسة قصةِ بني إسرائيلَ في القرآن الكريم؛ لاشتمالها على فوائدَ جمةٍ يفيد منها المسلمون.
5. إعمالُ فكرِ المفسرين وأصحابِ السيروالتواريخِ فيما ورد بخصوص استشراف مستقبل بني إسرائيل بسورة الإسراء.

تسليطُ الضوءِ على الفهم المتجددِ للقرآن الكريم، فإن من عظمة القرآن الكريم أن يجد كلُّ جيلٍ فيه بغيتَه وهدايتَه.

المصادر والمراجع

أولاً: مصدر الدراسة

القرآن الكريم.

ثانيًا: المراجع

1. إتحاف الأخِصّا بفَضَائل المسجد الأقصى، شمس الدين محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق، المنهاجي الأسيوطي ثم القاهري الشافعي، تحقيق د. أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتب، 1984 م.
2. إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق مركز خدمة السنة والسيرة، بإشراف د زهير بن ناصر الناصر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (بالمدينة)، ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية (بالمدينة)، ط1، 1415هـ - 1994م.
3. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ-1974م.
4. الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، قدم له د. إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
5. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1418 هـ - 1997 م.
6. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط1، 1376هـ-1957م.
7. البيان في عدّ آي القرآن، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، تحقيق غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ط1، 1414هـ- 1994م.
8. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو

الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، مجموعة من أهل التحقيق، دار الهداية.
9. تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، دار التراث، بيروت، ط2، 1387 هـ.
10. تاريخ دمشق، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ/ 1995 م.
11. التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، الدار التونسية، تونس، للنشر، 1984م.
12. تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم)، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط 3، 1419هـ.
13. تفسير ابن الجوزي (زاد المسير في علم التفسير)، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1422هـ.
14. تفسير ابن جزي الكلبي (التسهيل لعلوم التنزيل)، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1416هـ.
15. تفسير ابن عادل (اللباب في علوم الكتاب)، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419 هـ-1998م.
16. تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ.
17. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ/1999م.
18. تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ/1997م.

19. تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
20. تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم.
21. تفسير الشوكاني (فتح القدير)، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم، ط1، 1414هـ.
22. تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1، 1420هـ-2000م.
23. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
24. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.
25. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، و إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية 1384هـ/1964م.
26. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426هـ - 2005م.
27. تفسير الماوردي (النكت والعيون)، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
28. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1365هـ - 1946م.
29. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1418 هـ.
30. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تحقيق يوسف علي بدوي، ومحيي الدين ديب مستو،

دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419 هـ / 1998م.
31. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1998م.
32. تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، تحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1419هـ.
33. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط 1، 1423هـ.
34. التفسير من سنن سعيد بن منصور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني، دراسة وتحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط1، 1417هـ - 1997م.
35. جامع الرسائل، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق د. محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، ط1، 1422هـ - 2001م.
36. جمال القراء وكمال الإقراء، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي أبو الحسن علم الدين السخاوي، تحقيق د. مروان العطيَّة، ود. محسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق، وبيروت، ط1، 1418 هـ - 1997 م.
37. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، دار السعادة، القاهرة، 1394هـ/1973م.
38. الذخيرة، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي، تحقيق محمد حجي، وسعيد أعراب، ومحمد بو خبزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1994م.
39. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي.
40. زوال إسرائيل حتمية قرآنية، أسعد بيوض التميمي، المختار الإسلامي للطبع والنشر، القاهرة.
41. زوال إسرائيل2022م: نبوءة قرآنية، أم صدف رقمية، بسام نهاد جرار، مكتبة البقاع الحديثة، لبنان.
42. السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير للسيوطي، محمد ناصر

الدين الألباني، رتَّبه وعلق عليه: عصام موسى هادي، دار الصديق، توزيع مؤسسة الريان، ط3، 1430هـ - 2009م.

43. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط ومحَمد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ/2009م.

44. السننُ الإلهيةُ الكونيةُ والاجتماعيةُ لطائفَ وبصائرَ، د. رشيد كهوس، بحثٌ منشورٌ، مجلة تدبر، العدد الأول، السنة الأولى، البحث الثالث.

45. السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط1، 1413هـ-1993م.

46. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك أبو عيسى الترمذي(ت279هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، و إبراهيم عطوة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1395هـ- 1975م.

47. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، إشراف: شعيب الأرنؤوط، تقديم: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى 1421هـ/2001م.

48. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني البيهقي (ت458هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1424هـ/2003م.

49. سننُ الله في قصة موسى وبني إسرائيلَ في القرآن الكريم، د. صالح بن ثنيان الثنيان، بحثٌ منشوٌر، مجلة تدبر، العدد12، السنة السادسة، رجب 1443- فبراير2022م.

50. سورةُ الإسراءِ تقصُّ نهايةَ بني إسرائيلَ، عبد المعز عبد الستار، بحثٌ منشورٌ، مجلة الأزهر، المجلد28، غرة جمادى الآخرة 1376هـ-2يناير1957م، ص689.

51. الشخصية اليهودية من خلال القرآن الكريم – تاريخ وسمات ومصير، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط1، 1419هـ-1998م.

52. شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (458هـ)، تحقيق: د.عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1423هـ / 2003م.

53. صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه و أيامه)، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري،

تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422م.
54. صحيح الجامع الصغير وزياداته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني، المكتب الإسلامي.
55. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
56. على مشارف القرن الخامس عشر – دراسة السنن الإلهية والمسلم المعاصر، إبراهيم بن علي الوزير، دار الشروق، ط4، 1409هـ-1989م.
57. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
58. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، اعتني بطبعهِ وقدّم له وراجعه عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا، وبَيروت، 1412هـ - 1992م.
59. فهم القرآن ومعانيه، الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله، تحقيق حسين القوتلي، دار الكندي، دار الفكر، بيروت، ط2، 1398هـ.
60. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي،تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط8، 1426هـ - 2005م.
61. قصةُ قتلِ بني إسرائيلَ أنفسَهم توبةً إلى الله من عبادة العجل، سليمان بن إبراهيم بن محمد الحصين، بحثٌ منشور، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، المجلد 16، العدد الثاني، 1436هـ- 2015م.
62. القواعدُ الدعويةُ المستنبطةُ من قصة الملأ من بني إسرائيلَ في سورة البقرة -دراسةً استنباطيةً تحليليةً، د. عبد اللطيف بن حمود التويجري، مجلة تدبر، العدد16، المجلد الثامن، السنة الثامنة، رجب1445- يناير2024م.
63. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري عز الدين ابن الأثير، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1417هـ-1997م.

64. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر، بيروت، 1414هـ.
65. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (807هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ/1994م.
66. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1422هـ/2001م.
67. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم (405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ/ 1990م.
68. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ-2001م.
69. مصاعدُ النَّظرِ للإشرافِ على مقاصدِ السور (المقصِدُ الأَسنى في مطابقةِ اسْمِ كُلِّ سورةٍ للمسَمَّى)، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 408 هـ - 1987م.
70. مصنف ابن أبي شيبة (الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار)، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1409هـ.
71. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيقي حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2.
72. المعجم في أسامي شيوخ أبي بكر الإسماعيلي، أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس بن مرداس الإسماعيلي الجرجاني، تحقيق د. زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 1410هـ.
73. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1426هـ/2005م.
74. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن

محمد الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412 هـ - 1992 م.

75. الناسخ والمنسوخ، أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري، تحقيق زهير الشاويش، ومحمد كنعان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1404 هـ.

76. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامِه، وجملٍ من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، تحقيق مجموعة من الباحثين بإشراف الدكتور الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط1، 1429هـ - 2008م.

77. هل العهد القديم كلمة الله، منقذ بن محمود السقار، دار الإسلام للنشر والتوزيع، ط1، 1428هـ - 2007م.

78. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، والدكتور أحمد محمد صيرة، والدكتور أحمد عبد الغني الجمل، والدكتور عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1415هـ - 1994م.